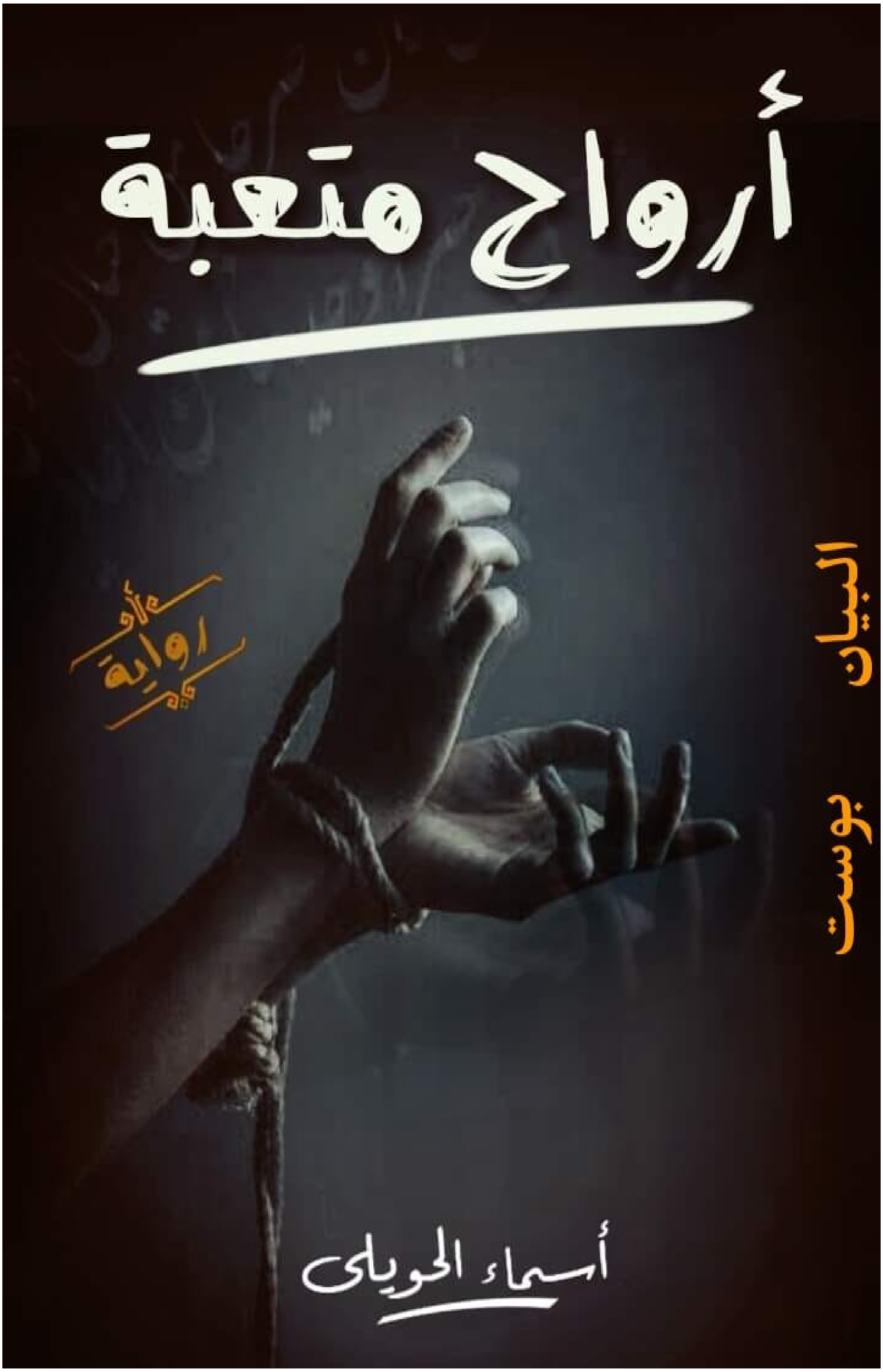

أرواح متعبة
رواية
البيان بوست
أسماء الحويلى

رواية

أرواح متعبة

أسماء الحويلي

البيان بوست

اسم العمل	أرواح متعبة
الكاتب	أسماء الحويلي
التصنيف	رواية
الناشر	البيان بوست
تنسيق وتحرير ومراجعة	خالد الجزار
تصميم غلاف	سامي رأفت
للاعلان على البيان بوست	01010003868

إهداء

إلى الرجل الوحيد الذي أحببته وخذلني، مازلت احبك.

(1)

كان عمري تسعة عشر عامًا عندما تقدم لخطبتي محمد، الشاب الخلوق الذي وعدني أن نكون أسعد زوجين ان وافقت على الزواج به، وأنه سيلبي كل طلباتي ورغباتي.

مع الايام استطاع أن يسحرني بلطفه وكلامه المعسول، فلم اعد أراه الا ذلك الزوج المثالي الذي تتمناه كل فتاة فوافقت..

كنت أحلم وكأنني طير جاءته الفرصة للخروج من القفص والتحليق في السماء مغردًا متنعمًا بالحرية مداعباً الأشجار غافلًا أنه قد يكون هناك صياد يترصده ليصطاده هواية ومتعة لا غير..

بعد الموافقة تمت الخطبة واستمرت عاما كان فيه أجمل أيامي وأحلى ذكرياتي..دلال وهدايا وكلام متغزل يخطف الألباب.. أسرني باهتمامه ولباقته وأسلوبه في الحديث وفي المعاملة.. كنا نتحدث عبر الهاتف يوميًا..

جاء موعد الزفاف، موعد استكمال فرحتي كأي بنت في يومها هذا، يوم لبس الفستان الأبيض.. كان يوما بهيجًا أقيم له حفل مذهل.. عقبه شهر عسل لا ينسى.. بعد ذلك بقليل انقلب السحر على الساحر، والحياة رأسًا على عقب.. تغير أسلوبه وكأنه شخص غير الذي عرفت..يخرج من البيت في العاشرة صباحًا ويعود منتصف الليل..أجلس وحدي بين الجدران طول الوقت، البيت بارد لا حياة فيه، أقوم بأشغال البيت من ترتيب وتنظيف وغسل وطبخ.. أنتظره لنأكل معًا فلا يأتي، أُجمل الأجواء بالورد البلدي داخل الفازة الزجاجية، أرتدي أجمل لبس عندي، أتعطر بالبرفان الفرنسي الفاخر، أضع لمسات تجميلية على وجهي وانتظر قدومه كطفل ينتظر هديته ولكن من غير جدوى فهو لا يأتي.. هدوء بل موت تام الى حد أسمع الحركة الدائرية للساعة التي على الحائط.. تلك الساعة التي أصبحت تزعجني، يستمر الحال هكذا حتى

يخيم الليل وتملأ النجوم السماء..أبكي وأمسح دمعتي.. ثم أبكي وأمسح دمعتي وانا أشعر بالخيبة.. أتنهد حتى يكاد صدري ينشق.. احس باختناق على مستوى حنجرتي.. أشرب الماء لأستعيد القدرة على التنفس من جديد.. الساعة قاربت الثالثة ليلا، أتمدد على السرير وأغفو حتى أهرب من واقعي.

في الصباح أفتح عيني لأجده غارقًا في نوم عميق..كان هذا حالي كل يوم.. أصبحت لا أستطيع عمل شيء اذ لا فائدة منه، كل شيء أضحى مملًا ومن غير معنى..فقدت الرغبة في كل شيء..تبخرت أحلامي.. عندما أواجهه أنه تغير يصيح في وجهي قائلًا هذه حياتي وإن لم تعجبك عليك المغادرة.. كل الحب والدلال انقلب الى شتائم وألفاظ جارحة.. أحسست بالاهانة، تدهورت نفسيتي..كل مرة ألتمس له الأعذار..أحيانا أمسك هاتفه وأكتب رسائل حب واشتياق وأرسلها لنفسي..أقرؤها وأبكي على أيام العسل..لم يعد ينفع أي شيء..تملكني الشعور بالاهمال ونقص العاطفة..لا تجملي أثاره، ولا تسريحة شعري جذبته، ولا تغييري لمكان الأثاث لفتت انتباهه...كل وقته، على قلته في البيت، يقضيه على مواقع التواصل ورغم كل ذلك تحملت حفاظا على بيتي..لكن بلغ السيل الزبى، وتطور الأمر الى أنه يضربني فتعبت ولم أعد قادرة على الاستمرار..

ذات يوم، أخرجت حقيبتي و ملأتها بما استطعت من الملابس وغادرت البيت الى بيت أبي..

ما إن أخبرتهم أني أريد الطلاق،صاح الكل في وجهي غاضبًا، ففي نظرهم أنا المذنبة..وأن إهمالي هو ما أدى بي الى هذا..ما أدهشني هو حتى أمي لم تكن في صفي. فرغم كل ما يحدث معي، حملوني المسؤولية بل أمسكني أبي من يدي وجرني نحو الباب يريد إعادتي..لم تجد محاولاتي أن أشرح لهم الموقف..

- أرجوك يا أبي، توقف لا أريد العودة، لا أريد العيش معه..

ولكنه لا يكترث لما أقول، ومن كثرة البكاء شعرت بدوران أسقطني أرضًا ولم أشعر بعده الا وأنا بالمشفى.. ما ان استفقت، اقتربت مني أمي قائلة:

- مبارك عليك أنت حامل.

خبر تلقيته كالصاعقة، يا الله لما كل هذا الاختبار، أنت تعلم معاناتي مع هذا الرجل فكيف سيكون حال طفلي؟!

مع اصرار أبي أن أعود وأمي التي قالت لا تشمتي في أحدًا، ماذا يقول الناس لو تطلقت! أحسست أنني ليست ابنتهم وأنني وصمة عار لهم. سلمت أمري لله وعدت إكرامًا لوالدي.. لكن، بعد أيام فقط ازدادت الحالة سوءاً. وأصبح يعايرني أن أبي هو الذي أعادني وليس هو..لم أعد أقدر على التحمل أكثر، وكل يوم يذبل في عيني.. النتيجة أنني قررت المغادرة، لكن هذه المرة الى وجهة أخرى غير بيت أبي..

غادرت وأنا أدعو الله أن يتولاني برحمته، وأردد: "لم يستوصوا بنا خيرا يا رسول الله.."

*****

خرجت من البيت وأنا أجر حقيبتي الثقيلة، المحملة بالملابس مثلي أنا المحملة بخيبتي.. الساعة الذهبية اللون على معصمي تشير الى التاسعة صباحًا..وبمجرد ما شرعت بالمشي، بدأت الأفكار تتصارع في رأسي وكأن هناك شخصا يحاورني قائلًا: *"أي طريق ستسلكين، وإلى أين تذهبين يا ترى؟"* ؛ أيا كان المهم ليس بيت أبي حتى لا يعيدني إليه مرة أخرى.

- *"لكن الشارع لا يرحم، فالكلاب المفترسة ستنهش لحمك والكلاب الآدمية ستنتهك عرضك.."*

..أتساءل ماذا وكيف يكون رد فعل أبويّ على هروبي؟! ألسن الناس لن ترحم أبي، الكل يشوه سمعتي وربما زوجي بالذات سيلفق لي تهمة تصِمني بالعار لتبرير نفسه ووضع رأس أبي في الوحل..كل هذا يدور بخلدي، فيا رب دبر لي أمري فإني لا أحسن التدبير، ولكي أواري دموعي، وضعت نظاراتي الشمسية على عيني، لقد قررت الذهاب الى دار عمي التي تبعد عنا مقدار ثلاث ساعات، الجو حار جدًا رغم أننا على أعتاب فصل الشتاء، والكنزة الزرقاء ذات الأكمام الطويلة تلسع بدني وكأنها مخزن للحرارة.. مع ذلك كنت أمشي على قارعة الطريق تارة أسرع لأن الحذاء الرياضي الأبيض (أديداس) ساعدني، وتارة أتثاقل من شدة الحر..هاأنا أشير الى ذلك التاكسي القادم فتوقف لي..وضع الحقيبة في صندوق البضائع وفتح لي الباب الخلفي فركبت، سألني السائق الى أين، وهو يحملق في من فوق الى تحت.. الى القاهرة، قلت.

انطلق وهو لا يزال يحدق في المرآة ولكني تجاهلته وأنا أنظر عبر النافذة الى المزارع المترامية مد البصر ذات الأشجار المحاذية للطريق..كنت أحدث نفسي مابه هذا الرجل يبدو غير طبيعي..نظر الي مبتسما يريد خلق حديث معي الا أنني لم أعبأ به ولكن الخوف بدأ يتسلل الى قلبي، لما أكثر النظر والتبسم..كدت أختنق وأنا أردد يا الله ماذا أصاب الرجال يا ترى، هل

هو عقاب لي على فعلتي، أأخرج من حفرة لأقع في بئر؟! أهذا ماكان ينقصني؟! أتفقد الوقت؛ انها العاشرة والنصف..نطق السائق مقتحما خصوصيتي:

- يبدو أنك على خلاف مع زوجك.

وابتسم ابتسامة ماكرة..تجاهلت كلامه تماما ولكني لم أعد أشعر بالراحة بتاتا..كلما مرت دقائق أجده يعاود النظر الي نظرة تحرش واستفزاز..الطريق خال من البنايات، طريق صحراوي قفر، ما عدا أشجار الفاكهة بطول الطريق وورد بنفسجي وأبيض متشابك على السور السلكي..الوقت يمضي والحرارة تزداد وأشعة الشمس تنعكس من على الإسفلت الى زجاج السيارة..كنت مرتبكة وحلقي يكاد يجف من العطش..من حين الى حين أضع كفي على بطني أتحسس جنيني عله يشعرني بالأمان وكأنني أستمد منه القوة وأشحن منه طاقتي التي انهارت من التوتر والخوف بسبب ذلك السائق الأحمق الذي تجرأ وقال:

- أظن أن زوجك لا يستحقك، كيف له أن يترك امرأة جميلة مثلك أن تخرج وحدها، لو كنت مكانه لما أخرجتك أبداً.

هنا بلغ السيل الزبى، ونطقت:

- وما شأنك أنت، أوليس من الأجدر أن تنتبه الى الطريق وفقط؟!
- مابالك تتعصبين، لم أقل الا الحقيقة أنت جميلة..

وهنا مسح كل جسدي بنظرته الوقحة رافعًا حاجبيه وضاغطا على شفتيه بأسنانه.. قلبي كاد ينفطر من الخجل والخوف.. وهنا انفجرت وصرخت:

- توقف هنا، أريد النزول.
- أين؟! هنا مستحيل فالطريق صحراء خالية.. لو نزلت لفحتك الحرارة وقد يوجد حيوانات مفترسة.

صرخت في وجهه ثانية:

- قلت لك توقف والا سألقي بنفسي، فليس من شيء مفترس سوى الانسان في زماننا هذا.

أوقف السيارة، وأنزل الحقيبة وألقاها على الأرض الترابية وهو يقول:

- يبدو أنك مجنونة وزوجك على حق فأنتن تعشقن النكد.

ضغط على دواسة المحرك ليترك وراءه سحابة من الغبار استنشقته مع الهواء..ألتفت يمنة ويسرة، فليس هناك من أحد غيري، السيارات تمر مسرعة كالبرق، كنت أمشي وأبحث عن شجرة أستظل تحتها ولكن يا ليت، على طرفي الطريق من وراء السياج أشجار البرتقال هي الغالبة، مثقلة بالثمار المتدلية.. وبعد أميال، وصلت الى شجرة الصفصاف تتوسط الرصيف فتوقفت تحتها ألتقط أنفاسي.. لم تمض ثلاث دقائق حتى ظهر لي كلب أسود من بعيد.. ياالله، إنه قادم باتجاهي، مابال هذا اليوم لا يمر بسلام؟! أمسكت حقيبتي وانطلقت أمشي محاولة عدم لفت انتباهه، أشير على السيارات فلا تتوقف..أنه يقترب أكثر وأكثر..زدت من سرعتي والعرق يتصبب على جبيني وأنفاسي لاهثة..يكاد قلبي يتوقف..ماذا فعلت يا الله، لعل في الأمر تكفير عن ذنب..لم أعد قادرة، أشعر أن الكلب سيلتهمني من الخلف وينهش قدمي، يا الله أتخيله يقفز علي فأنطلق أجري تاركة حقيبتي وأنا أصرخ..إذ بي أجد نفسي أحتضن التراب ملقاة على وجهي وشعري يمسح الأرضية..تذوقت التراب وهو يملأ فمي، ثم أرفع رأسي قليلا لتقع عيني على حذاء بني بلون القهوة..لا شعوريًا نظرت الى الخلف واذا بالكلب اختفى..مد الرجل يده قائلًا:

- هيا، انهضي يا ابنتي لا تخافي فأنت في أمان.

أمسكت بيده الخشنة الملمس، لكنها أشعرتني ببعض الطمأنينة..ساعدني على النهوض، انه رجل خمسيني يرتدي قميصًا رماديًا وبنطالًا أسودا وذلك الحذاء البني وعلى كتفه بندقيته الطويلة..

- شكرًا يا عم.

وأنا في حالة يرثى لها، اتسخت ملابسي وكُسرت نظارتي الشمسية..مسحت التراب من على وجهي وملابسي، ومررت يدي أرتب شعري ولو قليلًا.

- لماذا أتيت الى هنا؟

قال لي الرجل، شرحت له ما حدث مع السائق وهو يحمل حقيبتي..

- اتبعيني .

تبعته الى داخل المزرعة المجاورة والوقت مضى منه الكثير ولم أصل الى بيت عمي بعد.. الى أين يأخذني هذا أيضا؟

*****

(3)

مشيت وراءه وصوت العصافير المزقزقة على الأشجار وطيور النورس تحلق في السماء و تنعم بالحرية..بعد حوالي خمس دقائق مشيا داخل المزرعة، اتضح لي في الأفق عمال من الجنسين يقطفون الثمار وهم يسترقون النظر إلي متسائلين من تكون تلك السيدة القادمة نحوهم ثم بجانبهم الى أن تخطيناهم..وعلى مسافة قريبة بعدهم ظهرت لي فيلا بثلاثة طوابق مظهرها الخارجي يشد الأبصار..وفي فنائها كان هناك أربعة كلاب بوليسية من الواضح أنها للحراسة..

- لا تخافي!

قال لي العم.

عند عتبة الباب للدار، خرجت علينا امرأة تبدو في الأربعين من عمرها عليها ملابس ريفية فضفاضة تزينها الألوان والورود، ورأسها معصب بمنديل ألوانه متناسبة مع ألوان العباية التي تلبسها، وفي قدمها حذاء أسود لماع يلامس الأرض.. أخذت تدور حولي وتقول:

- من هذه يا عبد العال؟

ابتسم العم وقال لي:

- اها، اسمي عبد العال.

ثم أضاف:

- هذه المهندسة؛ بعثتها الحكومة لفحص المحاصيل، ألا جهزت لنا الفطور؟

وإذا بصوت الأذان يعلو مناديا لصلاة الظهر، فقالت المرأة:

- بل إنه موعد الغذاء..
- لا يهم أي شيء.

ثم قال لي:

- تفضلي يا أستاذة.

دخلت البيت وأنا مندهشة لكلامه، البيت رائع، تصميم حديث يدل على أن صاحبه شخص مهم.

- ولكن لم كذبت بشأني يا عم؟
- أنا أردت مساعدتك، وهي تريد أن تحشو أنفها في كل شيء وتنقل كل ما تسمعه أو تراه لصاحب المزرعة؛ ولما رأيتك مرهقة أشفقت عليك وأردت أن تستريحي وترتبي أمر نفسك بالتنظيف بعد كل ما حصل لك، ثم ارحلي بسلام..

أذهلني الذي قال، ولكن ما المقابل الذي يريده مني يا ترى، فلا يوجد شيء بلا مقابل في وقتنا هذا..

- لا تخافي، فكل ما فعلت انما أبتغي به وجه الله ليس الا، لا تدعي الشيطان يقرب مخيلتك فلي بنت في مثل سنك أرعى الله فيها.

تذكرت والدي وهو يجرني ويعيدني الى زوجي، غير عابث بمشاعري، قارنت بين الرجلين في ثوان وأطلقت تنهيدة عميقة:

- شكرًا لك!

أشار الى غرفة في آخر الرواق وقال:

- استريحي هناك ورتبي نفسك في انتظار حضور الطعام، وبعدها ستقلك سيارة الى وجهتك.

دخلت الغرفة التي تبدو وكأنها غرفة استقبال الضيوف، بها سرير وطاولة بكرسيين ونافذة تطل على الحديقة مع حمام صغير في الزاوية.. كنت أشعر بألم على مستوى بطني، والعرق ينساب مني كأنه المطر.. صورة زوجي لا تنمحي من خيالي وهو يصرخ في وجهي، صدى صوته يتكرر في أذني، "والدك هو الذي أتى بك**!** والدك هوالذي أتى بك**!**" كنت أشعر أنني في دوامة تدفعني الى الأسفل فأتماسك.. وضعت ملابسي جانبًا وتسللت تحت المرش المائي، بدأت أشعر بدوران قوي وكأن الأرض تدور من حولي، لا شيء الا وشوشة الماء أسمعها في أذني، وإذا بي أشعر بشيء ساخن ينزل بين فخذي، كان الرحم ينزف والدماء تنزل بكثرة وارضية الحمام تتلون بالأحمر، وفي مشهد رهيب تسحب المياه الدماء الى مصرف الحمام.. لم أتحمل المنظر وتلاشيت الى الأرض جالسة أحاول الاستغاثة فلم أقوى على ذلك.. خارت قواي، وتثاقلت أنفاسي، لم أعد أسمع الا دقات قلبي بصدري مع صيحات زوجي، أظلم كل شيء على عيني وأغمى عليّ..

بعد حوالي نصف ساعة زاد القلق على العم وهو لا يهدأ في مكان واحد، يروح هناك ويعود هنا:

- مالها تلك البنت تأخرت؟

أمر المرأة أن تتفقدني.

- حسنا سأفعل..

تدق المرأة على الباب فلا شيء، ثم تطرق الباب ولاشيء، تتحسس بأذنها على الباب وتقول:

- لا أسمع شيئا..

فتحت الباب ودخلت فلم تجد أحدًا، صوت الماء فقط هو الذي جذبها نحو باب الحمام..

طرقت على الباب، نادت عليّ، ولا حياة لمن تنادي..

تفتح باب الحمام ببطء، لترى مشهدًا مخيفًا، امرأة ملقاة في ركن الحمام غارقة في دمائها ولا تحرك ساكنًا.. وضعت يدها على فمها وعادت مهرولة تخبر العم.

*****



(4)

عادت مهرولة تخبر العم وهي تصيح:

- عبدهُ، عبدهُ..
- ماذا هناك؟
- إنها فاقدة للوعي وهي تنزف بشدة...

لا إراديًا، همّ بالدخول فأوقفته:

- لا، انها غير مستورة!
- وماذا تنتظرين؟! هيا ألبسيها بسرعة نأخذها الى المشفى.

هرعت بسرعة الى الحمام لترتيب ملابسها وتهيئتها لنقلها بينما هو خرج لجلب السيارة وتقريبها من الباب..ثم دخل مسرعًا صوب الحمام وحملها بين يديه وقطرات الدم تتبعهما طول المسار.. ركب الثلاثة في السيارة وانطلق مسرعًا الى المشفى..

- إنها تقول كلامًا غير مفهوم يا عبدهُ..
- أرفعي رأسها قليلًا إلى أعلى يا سعاد، أحرصي على أن تتنفس بسهولة..عجبًا، لقد كانت بخير فماذا أصابها فجأة يا ترى!

بعد خمس وثلاثين دقيقة، كانوا قد وصلوا الى قاعة استقبال الطوارئ وهو يردد:

- معي حالة حرجة، الرجاء مراجعتها بسرعة..

أخرجت ممرضتان سريرا متحركا الى الخارج بجانب السيارة، حملها العم ومددها على السرير وهي لا تدرك شيئا.. لاحظت احدى الممرضتين أنها تنزف دما، وقالت لزميلتها:

- قد تكون عملية تفريغ أسرعي بها الى قاعة العمليات..

من زاوية أخرى جاء الطبيب ليلحق بالسرير الى الداخل بينما جاءت ممرضة أخرى بأوراق تريد بها العم بغرض التوقيع عليها.. قال لها معترضًا:

- ولماذا التوقيع؟
- ستخضع لعملية تفريغ وهذا يستلزم التوقيع بالموافقة.
- الموافقة على ماذا؟ وتفريغ ماذا؟ لم أفهم ماذا تقصدين..
- المدام كانت حامل، والجنين نزل فلا بد من كشط المشيمة وكل ما يعلق بها حتى لا تتسمم فتموت.
- المدام؟! وحامل؟!
- هل أنت زوجها أو من أقاربها؟ فعلى من يوقع أن يكون كذلك!

بصوت خافت، كان العم عبد العال يدمدم:

- اقاربها! ومن أين لي ذلك، فأنا لا أعرف حتى اسمها..

ثم قال مرتبكًا:

- نعم نعم أنا من أقاربها.. انا زوج خالتها.
- حسنًا، نريدك أن توقع هنا وهنا..

رائحة أرضية القاعة التي مسحها عمال النظافة بالفنيك تشعرني بالغثيان..العمال يغدون ويروحون كأنهم النحل..المنظفون بزي رمادي من قطعتين، كنزة وبنطال والممرضون بكنزة بيضاء وبنطال أبيض والأطباء بأقمصة وبناطيل خضراء والكل يعلق على الجانب الأيسر من صدره بطاقة عليها اسمه ووظيفته..

بعد ثلاث ساعات، خرجت المريضة من قاعة العمليات تجرها الممرضة على سريرها المتحرك..نائمة، وجهها شاحب متعب.. قال الدكتور إثر ذلك:

- الحمد لله، أنقذناها في آخر لحظة لقد تسبب النزيف في هبوط حاد في الدورة الدموية.. ستخضع للعلاج لمدة أسبوع حتى تعوض ما فقدت من دم..

قالت سعاد لائمة عبد العال:

- إنها ورطة أدخلتنا فيها.
- هذه ارادة الله، ماذا كان سيحل بها لو لم أكن متواجدًا عند سقوطها في ذلك المكان الموحش وهي عرضة لأي حيوان مفترس! الحمد لله أن انتهت الى هنا..فلا عليك يا سعاد سأتولى كل شيء..

دخل العم مع سعاد الى الغرفة التي وضعوها فيها..ووقف بجانبها يتأمل وجهها ويقول في نفسه: "وجهك وجه ملائكي جميل يا صغيرتي، فمن أنت وكيف ساقتك رياح الصدفة إلينا، وماذا وراءكِ؟ شافاكِ الله يا بنيتي..

بجانب سريرها رقدت مريضة أخرى كذلك، نظرت هذه الأخيرة الى العم ظنا منها أنها ابنته وقالت:

- لا تحزن يا عم واحمد الله على سلامتها ونجاتها فهذا هو الأهم.
- شكرًا، الحمد لله على كل حال، سلامتك أنت أيضاً.

مرت ساعة من الوقت قبل أن تستعيد وعيها تدريجيًا. لاحظ العم أن في أصبع يدها اليسرى خاتم الزواج مما يدل أنها متزوجة وتأسف على فقدانها لفلذة كبدها.

نظرت اليه وقالت بتثاقل:

- أين أنا، وماذا حدث لي؟
- لا عليك، أنت بخير، أنت بالمستشفى متعبة قليلًا فقط.

- آخر شيء أتذكره هو أنني كنت في الحمام، وقد كنت أنزف، فماذا جرى؟ آه، لقد فقدت جنيني...

هنا صمتت وبدأت عيناها تذرف دموعا تنزل على خديها ببطء وكأنها كانت تعصر قطرات من الألم والحزن والحسرة والشفقة..

- لله ما أعطى وله ما أخذ يا ابنتي سيعوضك الله خيرًا.

هنا انفعلت أكثر وزاد بكاؤها ولم تلبث أن تهدأ حتى حقنتها الممرضة بمهدىء أدخلها في نوم مريح..

حزن العم لحالها مصمص شفتيهوهو يردد في نفسه:

- مسكينة لا أعلم عنها شيئًا وإلا لطلبت أحدًا من أهلها ليكونوا بجانبها، فمن زوجها؟ ولماذا تركها تسافر وحدها؟!

ثم خرج الى فناء المشفى يستنشق هواء نقيًا فقد أزكمت أنفه رائحة الأدوية بالداخل.. وقف ينظر الى أقسام المشفى ويقرأ اللوحات على باب كل مبنى؛ قسم الحروق وقسم الحوادث، وجناح الغسيل الكلوي.. وهو يردد:

- "الحمد لله الذي عافانا من كل هذا."

كانت الساعة تقارب السابعة وخمس دقائق مساءً، بدأ الظلام يسدل ستاره، والنجوم تظهر هنا وهناك تتخللها شهب عابرة من حين لآخر، انها رجوم الشياطين يفكر العم..

أخيرا استفاق زوجها من نومه ولم يجدها بجانبه..نظر الى الخزانة فلم يجد ملابسها إلا القليل.. جلس على الكنبة متسائلًا في قلق، الوقت تأخر ولم يأت بها والدها، لا بد أنهم يخططون لأمر ما..! دخل المطبخ، وجهز لنفسه كوبا من الشاي، فتح التلفاز وهو يمسك كوب الشاي في

يده، وفكره في مكان آخر غير التلفاز..هاجت الأفكار في رأسه حتى أنه لا يجيب على أي اتصال على هاتفه ولو من أقرب أصدقائه.

ها هو يقرر أخيرا أن يتصل بأبي زوجته يتحسس أخبار التأخر هذا.

نظر الوالد الى شاشة هاتفه مستغربًا عندما وجد اسم صهره وهو يتصل به، لم يفعلها منذ زواجه، فلا بد أن أمرًا قد حدث مع بنته.. تردد الوالد في الرد معتقدًا أنه خطأ فقط، بل جاءته فكرة أن يدع الزوجين وشأنهما، انها حياتهما الخاصة فلا داعي للتدخل..

أعلم أن رأس ابنتي من النوع الخشن، وقد تكون بصدد الصراخ في وجهه "أنا أريد الذهاب الى بيت والدي.."

عاود الاتصال به وهو يتأفف لماذا لا يرد هذا المسن، لا بد أنها أخبرته أنني عايرتها أنه هو من أتى بها وليس أنا، نعم أنا متأكد أنهم يحفرون لي خندقًا..

*****

(5)

وهو لا يزال واقفًا في فناء المشفى، أحضرت الممرضة الى العم وصفة دواء وقالت له:

- عليك أن تحضر لنا هذا الدواء من فضلك.

استلم الوصفة واتجه مسرعًا نحو أقرب صيدلية..خرج الى الشارع يمشي وسط الأضواء المتلألئة من واجهات المحلات، والانارة العامة بالإضافة الى السيارات المتتابعة والمتزاحمة، كأي مدينة طبعا، الحياة لا تهدأ ليلها كنهارها، كل الناس تسعى، وسعيها شتى..

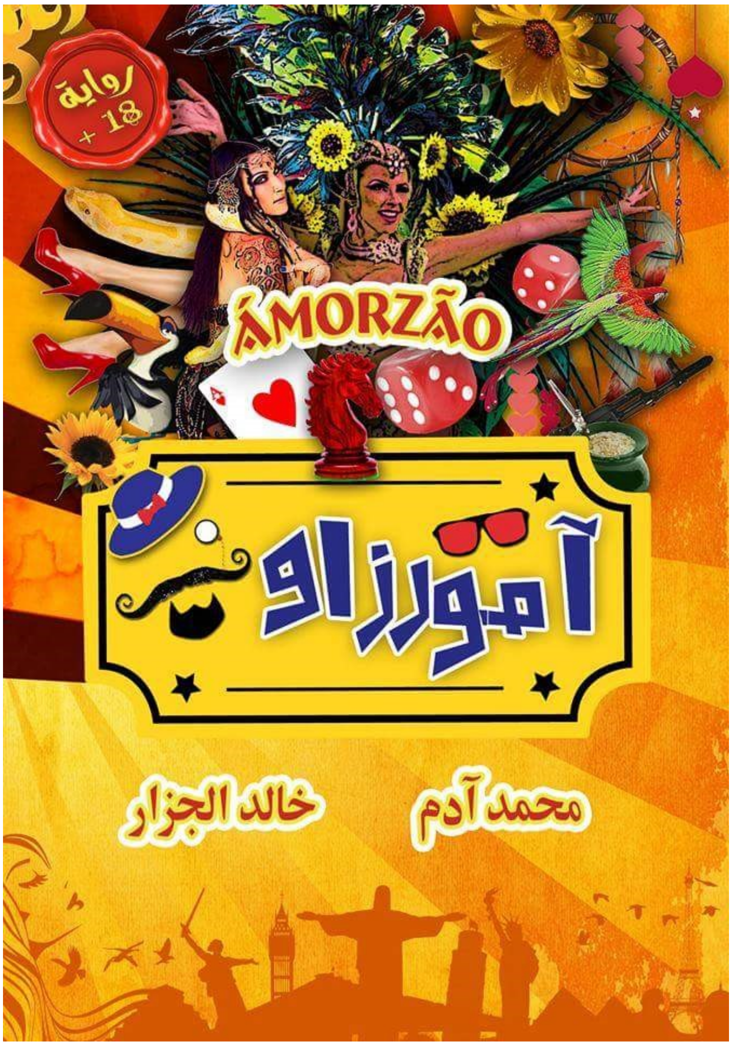
على بعد عشرات من الأمتار، وصل العم الى الصيدلية التي كانت تعج بالزبائن، مما يدل على كثرة المرضى وتعدد الأمراض..بعد عشرة دقائق جاء دور العم، اقتنى الدواء وعاد يريد المشفى..الجو الليلي بدأ يتحول من منعش الى بارد..قبل الوصول الى بوابة المشفى بقليل، كان هناك صوت وصراخ يتعالى بين جموع الناس المحتشدة هناك.

إنه شجار عنيف بين شخصين..سيارة الشرطة بضوئها الغماز، أربعة نساء متوسطي العمر توسطن الجمع وصوت بكائهن ونياحهن قد ملأ الأرجاء..اقترب العم للاستعلام على ما حدث، فأخبره أقرب رجل إليه، ذلك الطويل القامة، العريض المنكبين الذي يرتدي عباءة رجالية بيضاء وحذاء أسودا، لا يعدو أن يكون عمره في الثلاثينات كان يقف مشدوهًا مصدومًا مما حدث.

- لقد قُتِلَ ابن عمي وهو لا يزال في مقتبل العمر، ثلاثون سنة.
- لا اله الا الله! هل دهسته سيارة؟
- كلا، لقد كان على علاقة بامرأة متزوجة واكتشف الزوج الأمر فانتقم منه وقتله ثم أضرم النار في جسده..
- لا حول ولا قوة الا بالله.

أصوات بكاء النساء من جهة، وصيحات التوعد بالثأر من جهة أخرى.. كل ذلك جعل العم يتعجب لما وصل إليه المجتمع من انحطاط الأخلاق! فهل هو نقص في التربية؟ أم بعد عن الدين؟ أم ماذا؟..امرأة تعصي الله إشباعًا لنزواتها، ورجل ينتهك حرمة جاره ضاربًا بحقوق الجار وعظم حرمة عِرضه عَرض الحائط، وكأن جبريل عليه السلام لم يوصي به حتى ظن النبي (ص) أنه يورثه.. غادر العم مسرح الحدث وفي صدره غصة من هول الموقف.

*****



(6)

بخطوات متسارعة صعد العم الى الطابق الثاني حيث توجد المريضة، ولما هم بالدخول أوقفه حارس الأمن:

- إلى أين يا حاج؟
- ابنتي بالداخل، خرجت لأشتري لها الدواء وأعود ولقد تركتها في حالة حرجة فلا بد من الإطمئنان عليها..
- أممم لكنك تعلم أن دخول الرجال الى قسم أمراض النساء والتوليد ممنوع!
- ممنوع؟! وكيف دخل هؤلاء قبل قليل؟
- أمممم يعني عُمِلوا معاملة خاصة.. و لتعلم أنهم قدموا مقابل ذلك...

هنا يسعل الحارس مرتين، وهو ينظر الى العم ويبتسم.

- ماذا؟! تريد مالًا لتسمح لي بحقي في الزيارة والاعتناء بمريضتي؟! سبحان الله، حسبي الله ونعم الوكيل!

قالها مدمدمًا وهو يخرج عشر جنيهات من جيبه ويمررها الى يد الحارس..

- طيب ادخل ولا تطل المكوث هناك بالداخل وإلا عاتبني المدير أو ربما عاقبني لو علم بهذا..

دخل العم الى غرفة المريضة وهي نائمة متعبة وعيناها لا تزال محمرة من أثر البكاء.. جلس على كرسي بالقرب منها وقال:

- كيف حالكِ الآن؟ هل ارتحتِ قليلًا يابنتي؟
- بخير يا عم، شكرًا لك على وقوفك الى جانبي في هذه الوعكة..

من على السرير الذي بجوارها، قالت الفتاة وهي بنت ست وعشرين ربيع:

- لكن يكفيكِ بكاء يا أختي، سيعوضك الله خيرًا منه..

هنا سألها العم:

- هل عندك نفس حالتها؟
- نعم فقدت جنيني في الشهر الثاني..
- عوضك الله خيرًا.
- أنا لدي ولدان قبل هذا وزوجي هو السبب في هذا الاجهاض؛ تشاجرت مع حماتي في الصبيحة، وفي آخر اليوم لما قدم زوجي من عمله، أدخلني الغرفة وانهال علي بالضرب المبرح غير مبال بما أحمل في أحشائي حتى أفقدني الوعي..
- الله أكبر! هل جن الرجال؟! ولكن بالنسبة لمشاجرتك مع والدته فليس لديك الحق في ذلك بل عليك معاملتها بالحسنى والصبر على ما قد يصدر منها لأنها كبيرة، على كل حال نسأل الله العافية!

استدار العم الى مريضته وقال:

- حتى الآن ولا أعرف مااسمك، وما هي قصتك؟
- اسمي إيمان، وكل ما في الأمر أن اتصالًا هاتفيًا جاء لزوجي من فتاة وبعدما كلمها لمدة نصف ساعة أعطاني السماعة وقال (إنها ابنة خالتي تريد أن تسلم عليك.)وبعدما حدثتها حديث تعارف وانتهيت قال لي: (هل تعلمين من التي كانت على الخط معك؟) قلت مبتسمة هي من أليست بنت خالتك كما قلت!
- لا بل هي حبيبتي السابقة والتي أصرت على سماع صوتك..

ومن هنا بدأت المشاكل المتمثلة بالإهمال والإهانة والضرب أيضا..

- نسأل الله الهداية للجميع ولا حول ولا قوة الا بالله..

*****

(7)

عـادت سـعاد إلـى البيـت، وقبـل أن تسـتريح أسـرعت لتنظيـف كـل مـا بقـي مـن آثـار النزيف..كانت تنظف وتتحدث مع نفسها: **"ما هذه الورطة التي ورطتنا فيها يا عبده؟!"**

بعد مرور عشر دقـائق هـاهي تقبل الـى البيت فتـاة فـي مقتبل العمر، فتـاة عشرينية نحيفـة الجسم، ممشوقة القوام كأنها غزالة، شعرها طويل شديد السواد، علـى خدودها المتوردين نمش متناثر زادها جمالا وجاذبيـة.. ارتدت كنزة سوداء وبنطـال جينز أزرقا ينتهي بحذاء رياضـي أسود..

- خالة سعاد، كيف حالك؟
- أهلًا نور، انا بخير الحمد لله، وأنتِ؟
- الحمد لله، لقد تأخر أبي اليوم على غير عادته؛ الساعة تجاوزت الحادية عشر، اتصلت به لكن جواله خارج التغطية.جئت أتفقده هنا، فأين هو يا ترى؟
- لا تقلقـي، ذهب الـى المدينـة ليقتضـي بعض الأغراض للمزرعـة ولا شك سيأتي بعد حين..
- حسنًا، سأنتظره هنا ونعود الى البيت معًا.
- كما تشائين، سأحضر لكِ كوبًا من الشاي ان لم تطلبي شيئًا آخر طبعاَ.
- شكرًا لك يا خالة، لا أريد إزعاجك.

***

وهو يهم بالخروج قال العم:

- انتبهي لنفسك يا إيمان، عليّ المغادرة الآن وغدًا إن شاء الله سأعود إليكِ.
- شكرًا يا عم!

- تصبحون على خير!
- إنه رجل طيب.

تقول المريضة المحاذية لإيمان. فلم تزد هذه الأخيرة على أن تبتسم لها بينما كانت تستلم كوبًا من العصير من يد أم المريضة جارتها.

- أشربي يا بنيتي، هذا مفيد لكِ.
- شكرًا لكِ، سأحاول تجرعه، أصبح عندي مذاق كل شيء مر كأنه العلقم.
- أين والدتك يا ابنتي؟ كان الأجدر أن تكون معكِ في هذه الوعكة!

تلعثمت وما أدري كيف أجبتّها.. فعلى التو مرت صورة أمي أمامي وهي تقول: "أتريدين أن يشمت بنا الناس؟" متجاهلة إحساسي و معاناتي، قلت لها.

- والدتي متوفية يا عمة!

بنظرات الشفقة اقتربت تلك الأم مني واحتضنتني وهنا اغرورقت عيناي بدموع حارة متحسرة ؛ فلا أذكر أن احتضنتني أمي يومًا.

- لو احتجتِ أي شيء فأنا هنا اعتبريني أمك.

قالت المرأة.

- شكرًا لك يا عمة شكرًا..

بعد حوالي ساعة، استنارت غرفتنا بما بُشرت به زائرة جديدة، لقد وضعت توأمين منذ قليل، وبذلك، فقد نسيت كل منا همها وحزنها..دخلت علينا بعباية سوداء وخطى متثاقلة؛ آثار تعب الوضع لا تزال بادية عليها إذ تمشي منحنية الظهر ماسكة وسطها بيدها وتستند الى امرأة باليد الأخرى وخلفهما شاب يلبس قميصا أبيضًا وسروالًا وحذاء أسودين، حمل بين ذراعيه

طفلًا والفرحة على محياه بادية، ومعهما ممرضة تحمل الطفل الآخر..اتكأت النفساء الجديدة على السرير ووُضع الرضيعان بجانبها.. أخرج الشاب بعض المال من جيبه وناوله الممرضة قائلًا:

- هذه بشرة التوأمين.
- شكرًا.

كم تمنيت أن أعيش تلك اللحظة السعيدة! أما الذي أدهشني، فهو اهتمام ذلك الشاب بزوجته الذي جعلني أوقن أنه ليس كل ذكر رجل، نظرت اليها مبتسمة و قلت:

- مبارك عليك أختي.

ثم جلس زوجها بجانبها ممسكًا بيدها ويهمس لها كلمات وهي تبتسم، بعدها بقليل، لما أرادت السيدة العجوز أن تطعمها من الدجاج المشوي الطازج والأرز وبعض الفاكهة، أخذ منها الطعام وبدأ يفصص لها اللحم قطعا صغيرة ويطعمها في فمها.. كنت أختلس النظر إليهم وكلي حزن على حالتي بينما أردد بارك الله فيك يا ابن الحلال، فما أكرمهن الا كريم، بعد دقائق؛ دخلت الطبيبة المناوبة لتتفقد الجميع بالفحص والمراجعة، أمرته بالمغادرة:

- هذا القسم خاص بالنساء فقط أما الرجال ففي وقت الزيارة..

قبّل زوجته على جبينها وقال:

- حبيبتي، إنني في فناء المشفى، إن احتجتِ شيئًا رني عليّ..

***

رغم وصول العم متأخرًا، وجد ابنته في انتظاره، عاتبته:

- ما كل هذا التأخير يا أبي، وهي تحتضنه.

- لما أتيتِ في هذا الوقت المتأخر؟
- قلقت عليك خاصة لما كان هاتفك مغلقًا..
- حسنًا لنذهب، لكن انتظريني ثوان؛ سعاد! يا سعاد! أين أنت نائمة أم ماذا؟
- أنا هنا، لا زلت مع التنظيف.
- أسمعي! لا أريدك أن تخبري أحدا بما جرى..

وأشار لها مودعًا.

- هيا بنا يا أبي!
- أنا قادم عزيزتي سعاد، غدا نكمل الحديث.

هزت رأسها بالموافقة.

خرج العم وابنته قاصدين البيت والذي يوجد داخل المزرعة ويبعد حوالي خمس دقائق مشيًا على الأقدام من الفيلا..كان الظلام دامسًا، ونباح كلاب الحراسة متناغمًا مع نقيق الضفادع التي تملأ مصرفًا صغيرًا بطول المزرعة، مسكت البنت ذراع أبيها والحديث يدور بينهما..

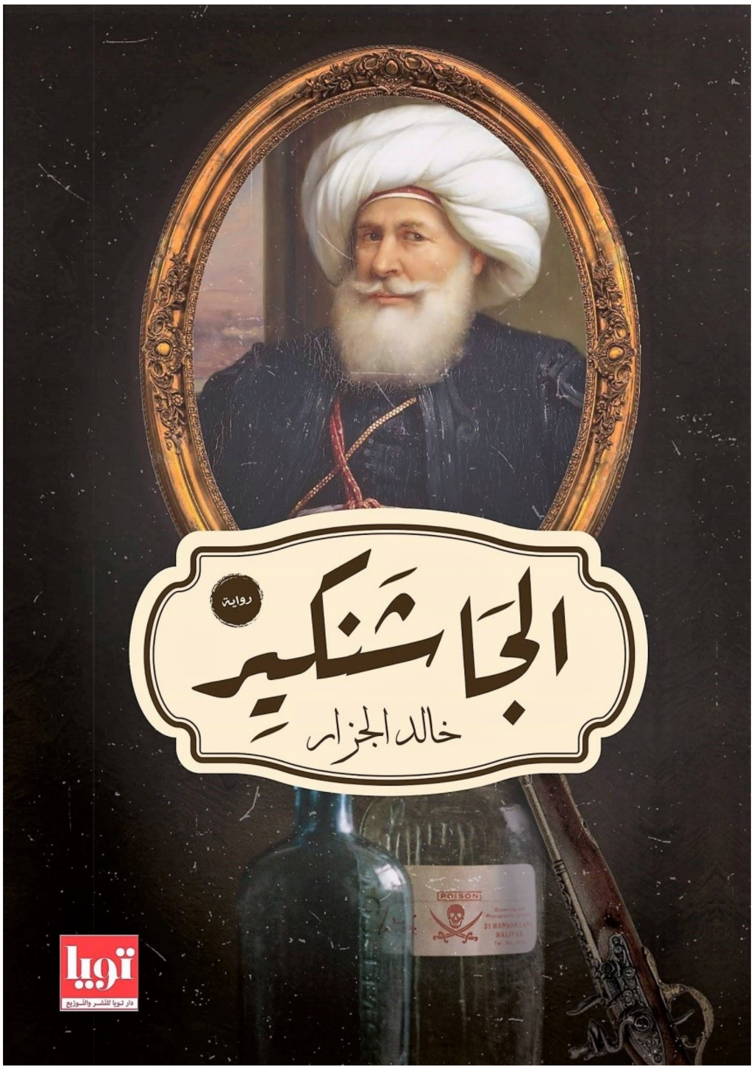
- هل تعلمين أنني أحبك وأنك أغلى شيء في حياتي؟
- نعم أعلم يا عبده.

قالت مداعبة والدها..لما وصلا عند عتبة باب البيت جلسا جنبا الى جنب. وهو يقبض كفها بشدة، قال:

- لو تعلمين كم تحملت من أجلكِ ومن أجل توفير كل شيء لكِ!
- نعم يا أبتاه، فمن يوم رحلت عنا أمي وأنت لي أب وأم وكل شيء، أعرف فضلك علي وسيأتي يوم سأعوضك عن كل تعبك.
- حقًا!

- نعم.
- لا أريد أن يحل علي يوم أضع فيه رأسي على الأرض خجلا من شيء قد تقترفيه.
- ما بك يا أبي، أيعقل أن أفعل شيئا يخزيك؟!
- اليوم شهد حادثة شاب قتل عشيق زوجته بسبب خيانتها له.
- لا اله الا الله، دعك من الوساوس، فأنا تربيتك وتعرفني جيدًا.
- ثقتي فيك كبيرة وأعلم أنك بألف رجل.
- أنت فخري واعتزازي يا أبي فاطمئن! هيا بنا لندخل البيت..

*****



أهم وصف للبيت بعد رحيلها هو الفوضى والإهمال ؛ كل شيء متناثر على الأرضية هنا وهناك، رائحة السجائر المنطفئة تزكم الأنوف،أعقابها تملأ كل الزوايا بما فيها غرفة النوم، فناجين القهوة وأكواب الشاي تحف بها أطراف الكراسي والموائد والمرافع، أكوام الملابس المستعملة تجدها على مرمى البصر، بجانب السرير، في سلة الغسيل او معلقة خلف الأبواب، لا شيء في مكانه، الغبار سيد المكان فلا تكاد ترى خلفية زجاج النوافذ، الأطباق والأواني تراكمت فوق حوض المطبخ، سلة الزبالة يملؤها الذباب الحائم حول بقايا الطعام الذي تعفن في مكانه، أصبح البيت شبحًا بلا روح، تكاد الجدران تنطق حزنًا لفراق صاحبة البيت..

وسط هذه الأجواء، يمر الوقت ولا يتصل به أحد، الزوجة لم يحضرها أبوها كالمعتاد..الساعة تشير الى الحادية عشرة صباحا وإذا بعشيقته، هدير، تتصل به:

- ألو حبيبي، صباح الخير، كيف حالك؟
- أهلًا عزيزتي، بخير، لقد اشتقت إليكِ.
- وأنا أيضا حبيبي...

تسلل شعاع الشمس عبر ستائر النافذة فأنار الغرفة قليلًا، كأنه يبعث الحياة داخل مكان شبه ميت، بالخارج، صوت زقزقة العصافير تطرب الأسماع، الناس يمشون في الشارع المحاذي، يتكلمون، صوت الباعة المتجولين يزعجه وهم ينادون أن أقبلوا على سلعهم المختلفة، كل ذلك ينضاف اليه صوت المحركات والسيارات مما أفقده تركيزه وهو يكلم عشيقته..

- حبيبتي، أريد رؤيتك، أنا بحاجة إليكِ.
- **اها، هل كل شيء على ما يرام؟! هل حدث شيء ما مع زوجتك النكدية تلك؟!**
- نعم، تخاصمت معها وتركت البيت..

- واوو، أحسن شيء فعلته، فأنا لا أعلم كيف استحملتها كل هذه المدة.
- ههه مثل ما أنت متحملة زوجك.
- ألا توافقني لمّا أقول لك إنهما يليقان لبعض؟! وأنت تعلم أنني أحبك..
- أممم ولكنك استبدلتِني وتزوجتِ أول رجل تقدم إليك
- لا ذنب لي في ذلك فلا تلمني، أهلي أرغموني على القبول به..
- هل يمكنني رؤيتكِ اليوم؟
- لا أعلم فقد تأتي حماتي اليوم.
- أرجوكِ حبيبتي أنا بحاجة اليكِ.
- حسنًا، أين نلتقي؟
- عندي بالبيت.
- لا لا، وكيف لو رآنا جيرانك، لنتقابل في مطعم كنتاكي أو في الحديقة العامة.
- لا داعي للقلق، العمارة التي أسكنها لا أحد يعرف الآخر فالكل في شأنه، وان خفتِ أن تُعرفي فأقترح عليك ارتداء نقاب و حل المشكل.
- وماذا لو جاءت زوجتك ووجدتني عندك؟
- لا تعقدي الأمور عزيزتي هي لن تأتي وأنا بحاجة إليك ألا تفهمين؟! أرجوك فأنا مريض بعض الشيء، وحيد وسط الفوضى، ألا فاشفقي علي.

وهنا بدأ يمثل كأنه مريض حقًا، ويسعل بين الحين والآخر، بدأ الشيطان يلعب بعقلها موسوسا لها: "نعم هذه فرصتك، عليك سد الفراغ، لا تتركي له المجال ليشتاقها ويعيدها، أشغليه بكِ عنها، استحوذي على تفكيره، وقلبه، أشغفيه حبًا." فلم تعد تدرك أنها تعمل على خيانة زوجها، ونسيت خوف ربها فقالت ملبية طلبه:

- حسنًا، سأكون عندك الساعة الثالثة عصرًا قبل عودة زوجي من الشغل..

***

في الصباح، جاءت الطبيبة ومعها الممرضة لتفقد المرضى، بعد فحصي، قالت لي مبتسمة:

- الحمد لله أنتِ أحسن بكثير اليوم.
- شكرًا لك دكتورة.

ثم نالت كل مريضة دورها في الفحص ورخصت لأم التوأمين بالخروج وغادرت، قمت إلى الحمام وأنا أمشي الهوينى، اغتسلت ولبست نفس ملابسي إذ ليس لي غيرها وعدت الى مكاني أترقب قدوم العم كطفلة تنتظر أباها.. نعم فهو الوحيد الذي اهتم بي في محنتي هذه.

ذهب تفكيري الى أهلي، هل آلمهم فراقي أم كعادتهم غير مبالين بي أغبت أم حضرت؟ بعد دقائق، دخلت عاملة النظافة بزيها الرمادي ومعها أدوات وسوائل التنظيف، فبعد التحية شرعت تسكب الماء والصابون الممزوج مع الفنيك على بلاط السيراميك ذي اللون الرصاصي، الرائحة قوية، أكاد أختنق، وقفت قرب النافذة فوقع نظري على العم وهو يدخل بوابة المشفى.. الحقيقة أني فرحت لرؤيته كثيرًا ولولا الحياء لناديته من هناك.. شعرت أنني طفلة وهي تريد أن ترتمي في أحضان والدها، كان العم يرتدي بنطالًا أسود وقميصًا رماديًا، وكان شعره أشمطًا، أي مختلطًا بين الأبيض والأسود، مما زينه أكثر، يحمل بعض الأغراض في يده، عدت أجلس مكاني منتظرة وقت الزيارة ونحن نتجاذب أطراف الحديث.. بعد ربع ساعة أحضروا لنا فطور الصباح المتكون من بيضة، قطعة جبن، تفاحة وعلبة زبادى مع رغيف خبز طازج، لكني لا أحب طعام المستشفيات مهما كان...

*****

(9)

في منتصف النهار فتحت الزيارة ودخل العم مبتسمًا:

- كيف حالك اليوم؟
- الحمد لله، في تحسن مستمر، شكرًا على اهتمامك.
- لا شكر على واجب، المهم أن ترتاحي ، أحضرت لك طعامًا طازجًا، دجاج وأرز وفاكهة؛ وهنا بعض الملابس..
- ولم أتعبت نفسك هكذا! فهم يقدمون لنا ثلاث وجبات يوميًا.
- أعلم ولكن طعام المشفى لا يستساغ طعمه، ثم أي تعب، خالتك سعاد هي من جهزته.
- جزاكم الله خيرًا. هل أحضرت لي هاتفي؟
- لا، لا أعرف مكانه، سأحضره المرة القادمة أين هو؟
- المرة القادمة؟ وهل أبقى هنا بعد اليوم؟
- الطبيب هو من يقرر، بعد أن يطمئن على صحتك، فالذي مر عليك أمر لا يستهان به.
- لا يا عم، لقد اختنقت من هذا المكان.
- اصبري لعلها رحمة..

لبست هدير أجمل ما عندها من لبس، وضعت مساحيق التجميل على وجهها، وتعطرت وخرجت، في طريقها، اشترت نقابًا وغطت به وجهها، بعد توقيفها لتاكسي وركوبها، اتصلت به:

- أنا في الطريق.
- حسنًا أنا في انتظارك حبيبتي.

هنا أخذ يجمع الملابس الموزعة في كل مكان ويلملم الكؤوس الفارغة بعجل، استحم هو كذلك ورش بارفانه الخاص على ملابسه وجلس ينتظر..

بينما كانت سعاد تنظف البيت وتعلق الستائر على النوافذ، مرت عليها نور وهي في طريقها الى الجامعة:

- كيف حالك سعاد؟
- أهلًا بك يا نور، الى الجامعة؟
- نعم، أين أبي؟
- ذهب الى المدينة في مهمة.
- حسنًا، لما يعود أخبريه أنني ربما أتأخر قليلًا اليوم، كي لا يقلق.
- سأبلغه، هل تريدين شيئا، هل معك ما يكفي من المصروف؟
- نعم، أعطاني أبي بزيادة، شكرًا إلى اللقاء.
- أنتبهي لنفسك جيدًا.
- لا تقلقي، سلام..

ذهبت نور وهي تحمل كتبًا بيدها وحقيبة يد بيضاء وهو نفس لون ملابسها وحذائها الرياضي، أما شعرها فجمعته الى الوراء كذيل حصان.

***

بعد ربع ساعة، أشارت الممرضة على انتهاء وقت الزيارة.

- ممكن أستخدم هاتفك يا عم، أريد الاتصال بأختي.

قالت إيمان.

- طبعا تفضلي.

اتصلت إيمان بأختها منال عدة مرات لكنها لم تجب الا في المرة الأخيرة.

- الو منال، هذه أنا إيمان.
- أين أنتِ؟ اتصلت بكِ كثيرًا لكن هاتفك مغلق.
- أنتِ كيف حالك وحال والدي؟
- الكل بخير، أخبريني أنت كيف حالك مع زوجك ذلك اللعين، هل مازال يضايقك؟

سكتّ قليلا أفكر، تبدو الأمور طبيعية لا أحد شعر بغيابي عن بيتي.. تنهدت بعمق وغزت عينيّ الدموع، تلعثمت في الحديث وشعرت بالاختناق..

- ألو إيمان! هل أنت معي؟
- نعم أختي، معك، المهم أنكم كلكم بخير.

قالت ايمان بنبرة حزينة..

- ما بك أختي يبدو صوتك حزينا أأنت بخير؟

لم أستطع التحكم في نفسي أكثر فاستسلمتُ للبكاء وأبكيت معي العم الذي قال:

- لا بد أن في قلبك وجعًا كبيرًا يا بنيتي فالله المستعان..
- منال، أخبرك بشيء، لقد تخاصمت مع زوجي وتركت البيت على اثر ذلك منذ ثلاثة أيام، ألم تشعروا بغيابي، لم يكترث أحد منكم لأمري لا أبي ولا أمي، لا أحد يهاتفني لي ويسأل عني! ألهذه الدرجة كنت عبئًا عليكم؟!
- ماذا تقولين! تركتِ البيت، وأين أنت الآن؟ كفي عن البكاء واهدئي، تعلمين كم أحبك ولا دخل لي فيهم، أخبريني أين أنت، أريد رؤيتك.
- لكنني لا أريد رؤية أحد منكم، لقد نزعتم كل جميل بداخلي.

ثم أغلقت الخط..

- أمي! أبي!

نادت منال بصوت عال.

- ولماذا كل هذا الصراخ قالت الأم.
- إيمان تركت بيتها منذ ثلاثة أيام.
- ماذا؟! هل جنت؟ يا فضيحتنا أمام الناس!
- كفاكِ اهتمامًا بالناس واهتمي بنا وبمشاعرنا..

ذهبت الأم الى غرفتها توقظ زوجها:

- أفق أفق يا رجل!
- ما الأمر يا امرأة؟ ما الأمر أبكِ جنون؟!

صاح في وجهها.

- إيمان غادرت بيتها..
- تلك البنت ستلحق بنا العار، سأقتلها لو صح ما تقولين؛ أحضري لي ملابسي.

قالها ويكاد شرر الغضب يتطاير من عينيه..

***

أسمع يا عم إن اتصل أحدهم بك يسأل عني فقل له أنك لا تعرفني وإنما استلفت من عندك الهاتف وفقط.

قالت إيمان.

- لك ذلك الا أن الحديث بيننا لم ينته بعد وكفاك بكاء فلقد أحزنت قلبي.

- لأن قلبك طيب يا عم، ليت أبي مثلك، ليته احتضنني واحتواني! فالمفروض أن الأب سند لابنته بينما أبي كسر ظهري يا عم..
- مهما يكن فسيظل أباك، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا.

رد العم.

- لكنه لم يرحمني ولم يرحم ضعفي ولم يقف جنبي يا عم..
- على الجميع أن يغادر الآن.

صرخت بها ممرضة تمر بين الغرف.

- سأذهب الآن وسأرجع غدًا بحول الله، احترسي لنفسك.
- لا تقلق شكرًا.

***

وصلت هدير الى العمارة ذات الاثني عشر طابقًا فتوقف بها التاكسي وحاسبته ونزلت.. حسب قوله فهو يسكن في الطابق الخامس شقة رقم 4. صعدت السلم الى الطابق والرقم المذكور، وقفت أمام الباب هنيهة ثم طرقت عليه.. فتح لها واستقبلها بحفاوة:

- أهلًا حبيبتي، كم أنا سعيد بقدومك.

قالها وهو يحتضنها..

- اشتقت اليك ردت هدير،وخلعت النقاب،ألقته على الأرض بعدما دخلت.
- ما هذه الفوضى الذي أنت عليها!
- ههه هذا شيء بسيط، لأني جمعت أغراضا كثيرة قبل قدومك.

*****

(10)

خرج الوالدان من المنزل متجهين الى بيت الزوج والغضب باد على الأب وهو يدمدم ويتوعد..أما العم عبده فعاد الى المزرعة وإذا بسعاد تلاقيه:

- وأخيرا عدت يا عبده، اتصل المهندس مازن و هو في الطريق الى هنا..
- مرحبًا به.
- والآن ألا تخبرني عن قصة تلك الفتاة؟ فحتى الآن لم أفهم ما علاقتك بها.
- لا أعلم، ربما نزلت علينا من السماء.
- ما هذا الكلام،أنت تمزح؟
- وماذا غير المزاح، هل السماء تمطر جميلات مثلها! المسكينة وجدتها على حافة الطريق ممدة على الأرض بجانب المزرعة وهي خائفة من كلب كان وراءها..لقد تخاصمت مع زوجها وتركت له البيت باتجاه بيت والديها وفي الطريق حدث لها ما حدث..
- أي نعم، أنتم الرجال لا رحمة في قلوبكم.
- ليس كل الناس كبعضهم يا سعاد، ثم لابد أن نستمع للطرفين قبل إصدار الأحكام..المهم خليك مع الطبخ وأنا أذهب لتفقد العمال..
- انتظر، أبعد حقيبتها عن الأنظار أولًا، إنها في صالة الضيوف، قد يأتي مازن في أي وقت فماذا أقول له، أنها لي؟
- معك حق، سآخذها معي الى البيت ولكن لا تخبريه شيئًا عنها.
- هذه مسؤولية ياعبده ومن فضلك فكني منها عسى ألا ينقطع رزقي..
- المهم أنت ابق على فمك مغلقًا ولا داعي لأي ثرثرة والباقي علي انا..
- تمام، لا دخل لي إطلاقًا.

قالت وهي تقطع البطاطس.

- نعم، الآن عليك اكمال تحضير الطعام وانتهى.. علي الذهاب الآن.
- آه انتظر، مرت نور من هنا وقالت لك أنها ممكن أن تتأخر اليوم..
- حسنًا سأذهب لإحضارها بعد الانتهاء..

خرج العم وهو يفكر كيف يساعد تلك المسكينة..تقدم الى وسط المزرعة، والعمال من الجنسين يقطفون الفاكهة ويضعونها في صناديق..اقترب يتفقد العمل ويوصي بعدم وضع الفاسدة منها لأن أي حبة متعفنة ستنقل العدوى الى باقي الفاكهة، نطق أحدهم قائلًا:

- الفواكه مثل الانسان، لو خاللت فاسدًا أفسدك.

رد عليه العم:

- حديث الحبيب يقول :" المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل " هيا تابعوا العمل!

قال المشرف الميداني:

- الى أين يا عم عبده؟ ابق معنا قليلًا وأشبعنا من حديثك الممتع.
- لدي أعمال كثيرة، وعلي إنهاؤها، أراكم فيما بعد.
- مع السلامة..

***

في الطريق تعاتب الوالدان ورمى كل منهما المسئولية على الأخر، دمدمت الأم:

- ليتك ما أعدتها إليه.
- كفى من الملامة، ألست أنت من قلت لها أتريدين أن تشمتي بي الناس!

- لا تحملني كل المسؤولية..

***

جلست هدير بجوار عشيقها وحدثته في دلال:

- لقد أحضرت لك طعامًا طازجًا، جهزت لك كل ما تحب، المكرونة بالبشامل والمحشي وقطع اللحم اللذيذ..

نظر اليها باشتهاء، تبسم وقال لها:

- أممم كم أنت جميلة! بل مثيرة جدا بتلك الملابس القصيرة والشفافة..حتى لون قميص النوم الأسود زادك أناقة..حقيقة تبدين رائعة. اقتربي أكثر..
- ههههه أعلم ذلك وهل كنت يوما غير مثيرة..

قالت وهي تقترب منه حتى التصقت به واحتضنها بشغف ومن غير انتظار بدء في تقبيلها وملاطفتها بكلمات مغرية معسولة ويده تلامس جسدها الرخيص..وما لبثت أن استسلمت لغوايته وانساقت لطلباته..لقد وقعا في الخطيئة ونال كل منهما من الآخر نزوته..بعد إشباع غريزتهما الحيوانية، استلقيا على الكنبة وقد مرت حوالي نصف ساعة..فجأة سمعا جرس الباب يدق، وإذا بها تقفز من مكانها:

- يا للمصيبة، لابد أنها زوجتك..!
- هدئي من روعك ليست هي.
- بل ربما أبوها أتى بها مثل المرة السابقة..حذرتك وقلت لك نلتقي في الخارج.

قامت مسرعة تجمع ملابسها التي وضعتها هنا وهناك وهي تتعرى لعشيقها، كما أسرع هو وارتدى بجامته فليس عنده وقت للملابس التي يخرج بها وقال لها:

- لا تتحركي، سأتفقد الباب.
- أنا هنا..

وازدادت الطرقات على الباب.

- أنا قادم اصبر!

ما إن فتح الباب حتى وجد حماه وحماته نصب عينيه.

- ولم تأخرت علينا حتى اعتقدنا أنك غير موجود.
- آسف، كنت نائمًا.
- ألا يوجد ما تستر به صدرك؟!

قالت الأم، دمدم قليلًا وارتبك ثم قال:

- أين إيمان؟

رد الأب:

- أين إيمان؟ أنا من يسألك أين هي، ثم هل تتركنا واقفين هنا أم ماذا؟
- لالا تفضلا.

اجتازا عتبة الباب والأم تتجول بنظرها عبر كل الزوايا لتقع عينها على نقاب أسود ملقى على الأرض.

- لمن هذا، هل ايمان أصبحت ترتدي النقاب؟
- لا أعلم ربما هو لاحدى صديقاتها.

هنا اشتمت الأم رائحة عطر وقالت:

- أممم هذا عطر نسائي، ما الذي يحدث هنا؟
- لا شيء، ما بك يا عمة، تفضلا بالجلوس.

قال الأب:

- أريد معرفة مالذي حصل بينك وبين بنتي.
- بنتك تطاولت علي بكلام وألفاظ..

قاطعه الأب مكذبا ادعاءه:

- ابنتي؟! لا يمكن، مستحيل

وهنا سمعوا صوت شيء انكسر في غرفة النوم، وقفت الأم وهي تمصمص شفتيها:

- من هذا؟
- لا شيء، ربما القطة أوقعت شيئا في الغرفة..

وقفت الأم:

- لا بد من رؤية ماذا يجري بالداخل.

وامتلأ رأسها بالأفكار السلبية.

- لا لا تفعلي، لا تدخلي فالغرفة تعمها الفوضى وصديقي نائم بالداخل..
- صديقك! أبتعد عن طريقي!

ودخلت وهي منفعلة لتجدها واقفة خلف الباب مرتدية روب ابنتها، فتصيح في وجهها:

- من أنت وماذا تفعلين في غرفة نوم ابنتي يا ساقطة؟!

انهالت عليها بالشتائم وثنى الأب عليه قائلًا:

- يا خائن، لا بارك الله فيك، لقد ضيعت ابنتي من أجلك وأنت تخونها!

احتدم الأمر بالملاسنة والملاعنة حتى قدم بعض الجيران على صوت الشجار:

- آسف يا عم، انتظر أفهمك..
- حسبي الله ونعم الوكيل! لقد دمرت ابنتي، الآن فهمت معاناتها!

قالت الأم وهي تبكي..

- كفانا فضائح، غادرا بيتي.
- لن تفلت هكذا وبيننا العدالة.
- افعل ما تريد أنا في بيتي.

تبكي هدير وتقول:

- أخرجني من هنا لقد افتضحت.

خرجت الأم وهي تردد:

- حسبي الله ونعم الوكيل!

***

في المستشفى شعرت إيمان بالملل حدثت نفسها:

- لا بد أن أخرج من هنا فلا أطيق هذا المكان.

خرجت نحو الباب تتحسس الموظفين ثم أوقفها الحارس:

- ألى أين يا مدام.
- صديقتي قادمة اليّ ولا تعرف المكان، سأحضرها وأرجع.

- حسنًا لا تتأخري.
- لا عليك سأعود بسرعة.

خرجت من المشفى مسرعة، وفي يدها قصاصة ورق عليها رقم هاتف العم. كانت الساعة الخامسة مساءً، الشمس آنفت على الغروب، رجال في مختلف الأعمار يجلسون في مقهى بجوار المشفى.. اقتربت، على استحياء من أحد الشباب سائلة إياه:

- هل يمكنني استخدام هاتفك؟ عندي مكالمة مستعجلة.
- بالطبع أختي، تفضلي.
- بل خذ أنت الرقم واتصل به..

*****

(11)

دون تردد، اتصل الشاب على الرقم وأعطى إيمان الهاتف.

- ألو، السلام عليكم؛ من معي؟
- وعليكم السلام يا عم، هذه أنا إيمان.
- أهلًا أهلًا، هل أنت بخير؟
- الحمد لله تمام، أردت فقط أن أخبرك أنني غادرت المشفى.
- حقًا! وهل يعقل أن تخرجي من غير إذن الطبيبة؟! ماذا تفعلين يا بنتي، ماذا تفعلين وأنت مازلت في وهن وضعف؛ المهم، أين أنت الآن؟ عليّ القدوم لأخذك.
- لازلت أمام المشفى، عند المقهى المجاور بالضبط.
- حسنًا لا تبتعدي، فأنا قادم..

بمجرد ما قفل الهاتف اعتدل أمام مقود سيارته، الشيفرولية البيضاء، وشغل المحرك قاصدًا مكان تواجد إيمان.. بدورها، ردت إيمان الهاتف لصاحبه وشكرته وابتعدت قليلًا عن الجمع تنتظره..بعد حوالي ربع ساعة، كان العم عندها.

- هل انتِ بخير؟
- الحمد لله تمام.
- أعتقد أنه عليك العودة الى المشفى
- لا، لا استطيع التحمل أكثر، وللتذكير فأنا أشعر بتحسن كبير، أعلم أنني أتعبتك كثيرا ولكن استحملني اليوم فقط، وفي الغد سأغادر الى وجهتي.
- لا يمكنك الذهاب هكذا وأنت لا تزالين متعبة، والرجاء، لا تكرري كلمة أنك أتعبتِني.

- أoooه أخجلتني يا عم، حقيقة لا أستطيع شكرك أو رد جميلك، لن أنسى لك هذا ما حييت..
- لا تشكريني، فلدي بنت في سنك.. إنها سنمر عليها في الجامعة ونأخذها معنا الى البيت لو سمحت.
- بالطبع لا مانع..

عند بوابة الجامعة، اتصل بها:

- هيا يا بنتي أنا امام البوابة، أمازلت لم تكملي؟
- لا يا أبي أنهيت محاضراتي، انا خارجة.

بعد دقائق قليلة ها هي تخرج من البوابة الكبيرة، ومن أول وهلة لاحظت أن هناك امرأة مع أبيها فتساءلت في نفسها، "من تلك الجميلة يا ترى؟ أبي، ماذا دهاك؟!"

- أهلًا بك عزيزتي.
- أهلًا أبي، كيف الحال؟
- بخير وأنت أنهيت كل دروسك؟
- أي نعم كل شيء على ما يرام.

قالت وهي تنظر باستغراب إلى التي تجلس من الخلف..

- بنتي، هذه إيمان، إيمان، هذه نور بنتي.
- أهلًا يا نور، سررت بمعرفتك.
- أهلًا، لكن من أنت، لم يسبق أن تعارفنا، من أين تعرفين أبي؟
- هه القصة تطول قليلا، سنتحدث عن هذا بالتفصيل بعد وصولنا البيت.
- ماشي حبيبتي، توكل على الله يا ابي انطلق..

من غير كلام، تبتسم نور، و في رأسها علامات استفهام، انطلقت السيارة باتجاه البيت..

***

عاد الأبوان الى بيتهما والحسرة تقتلهما، كأن خنجرا غُرز في صدر كل منهما، لا سيما الأب الذي كان شعوره بالذنب يحرقه من الداخل.

***

ركبت هدير سيارة تاكسي تريد العودة الى بيتها، بكت طوال المشوار..مما جعل السائق يقول لها:

- هوني عليك سيدتي، هذه علبة المناديل الورقية، تفضلي..

***

..أوقف العم السيارة أمام البيت بعد المغرب:

- تفضلي يا إيمان هذا بيتي المتواضع وحقيبتك هنا قد أحضرتها من قبل وهي في غرفة نور التي ستشاركينها فيها..
- آسفة إن كنت أزعجتكم، سامحوني.
- لا ياابنتي نحن عائلتك حتى حين.

نطقت نور وكأنها تشعر بنوع من الغيرة بعد أن صفعت باب السيارة قائلة:

- كم أريد أن أستريح، لقد تعبت اليوم كثيرا في الجامعة.

ضحك عبده ضحكة قصيرة:

- لا تهتمي لها يا إيمان، نور طيبة القلب وهي لم تعرف قصتك بعد وستتقبلك في وقت قصير.

- شكرًا لك تصبح على خير.

رد العم التحية واتجه مباشرة نحو الفيلا يستطلع هل وصل مازن. زاد الظلام وأضاءت النجوم يتوسطها القمر بنوره الوضاء.

- سعاد! سعاد!
- نعم يا عبده!
- هل جاء المهندس مازن؟
- لا لم يصل بعد ان لم يغير رأيه ويعدل عن المجيء.
- سأنتظر قليلًا بالخارج، ولو سمحت ناوليني كوبًا من الشاي.
- حاضر.

جلس العم وسط الورود التي تزين الفناء، وغير بعيد كانت كلاب الحراسة باسطة ذراعيها ونسيم الليل يتخلل الجلسة..انها متعة الريف بهدوئه وصفائه المريح.

***

على العشاء أخبر الأب منال:

- منال، اتصلي بأختك وأخبريها أن تعود ولا تخاف شيئا، سألبي لها كل ما تريد.
- حاولت منذ قليل وهاتفها مغلق. أتشعر الآن بالندم على تضييعها! لا أعتقد أنها ستسامحك.

نظر الأب نحوها لا يدري كيف يرد، قطعت الأم حاجز الصمت:

- أريد ابنتي، افعلوا أي شيء المهم أحضروها.

قالتها والدموع تخنق حروفها وهي تبكي.

انتفض الأب:

- سأبلغ الشرطة وهي تتكفل.
- أتريد أن تفضحنا أمام الجيران وتمس بسمعتنا، فيكثر الكلام ويمتنع الجميع عن التقدم لخطبة منال؟!

تدخلت منال:

- كفاكِ يا أمي خشية الناس انها فلذة كبدك والمهم انها تعود، أليست هي الأولى بالحرص والاهتمام؟!
- زوجها هو السبب قبحه الله.
- أنتم أيضاً زدتم الطين بلة لم تحتضنوها وتضمدوا جراحها، ويعلم الله كيف هي الآن، أكلت وشربت أم لا، وجدت مأوى أم لا..

اتصلت هدير بعشيقها فلم يرد عليها زاد قلقها وهي تحدث نفسها: "ماذا حدث ياترى؟ يارب مرر هذا الأمر ولن أفعلها مرة أخرى أبدا!" كانت تخشى أن يصل خبر خيانتها إلى زوجها وأهلها.. أما شريكها في الفضيحة فكأن شيئًا ما تحرك في داخله تجاه زوجته إيمان، لقد افتقدها حقًا، أصبح ينظر حوله وقد فقد البيت دفئه وحيويته، لا روح فيه ولا حياة بالإضافة الى الأوساخ التي علقت به.

انه يشعر بفراغ داخلي وبالحاجة الحثيثة إليها، تمر صورها في مخيلته وهي تضاحكه، وهي تحتضنه، وهي نائمة على الكرسي تنتظره عندما كان يتأخر، يتذكر بكاءها الطفولي الذي ينقلب ضحكًا واستبشارًا بمجرد قبلة.

- أي إنسان أنا؟! كيف فعلت بها هذا؟! وصل بي الأمر إلى أن ارتميت في أحضان ساقطة متزوجة! هل خانتني مع غيري يا ترى

هكذا حدث نفسه وهو يقف أمام المرآة، في التو ارتدى ملابسه وانطلق الى بيت حماه.

***

قدمت سعاد الشاي لعبده وجلست بالقرب منه تشرب هي أيضاً ثم قالت:

- بماذا ستخبر المهندس إن سألك عن إيمان؟
- أريد منك خدمة يا سعاد، تسديها الى تلك المسكينة.
- كنت أعلم أنك ستورطني معك.
- لالا، أعلم أنك طيبة القلب نقية السريرة ولن تتأخري عن فعل الخير أبدا.
- توقف عن استدراجي بهذا الكلام،خاصة و أنت تعرف نقطة ضعفي وتحسن استغلال الوقت المناسب لتوظيف عاطفتي.
- ههه لا والله، فأنت فعلا طيبة القلب.
- هيا أخبرني ماذا تريد وسنرى.
- لو رآها مازن سأدعي أنها بنت أختي التي في الصعيد جاءت لزيارتي، أما أنت فلا دخل لك في الموضوع.
- أنت تورط نفسك في متاهات وعرة، لم لا تدعها تمشي لحالها وتريحنا من المشاكل!
- أكيد أنها ستغادر ولكنها لا تزال متعبة، وكل ما أفعله انما هو لوجه الله لا غير..
- المهم لو حدث أي أمر فلا دخل لي في الأمر.

نظر العم الى ساعته.

- العاشرة ليلًا ولم يأت بعد سأتصل به في الحال..
- ألو، أهلًا عم عبده كيف هي الأمور عندك؟
- كل شيء تمام، أخبرتني سعاد بقدومك وهاأنت تأخرت فاتصلت أتفقدك.

- نعم صحيح، فأنا في طريقي، سأصل في غضون ساعتين بحول الله، أخبر سعاد أن تحضر لنا من طعامها اللذيذ الذي تصنع بيديها كالعادة، فإن معي ضيوفًا.
- نعم هي أمامي سأخبرها في الحين، على الرحب والسعة.

استدار الى سعاد وقال:

- المهندس مازن قادم بعد حوالي ساعتين وهو يطلب منك تحضير الطعام لأن معه ضيوفًا..لقد قال أن طعامك لذيذ، فلماذا لا أجده كذلك عندما أتناوله.

ضحك وكأنه يطرد أشباح الأفكار السلبية بضحكته هذه

- أمم سأحرمك منه إذن هههه..

***

وصل الزوج الى بيت أهل زوجته وهاهو يطرق على الباب..

- من الذي يأتي إلينا في هذا الوقت؟

تساءلت الأم.. قامت من مكانها لتفتح الباب و إذا بها تتفاجأ لرؤيته...

*****

(12)

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟ ألا تستحي من نفسك؟!

ثارت الأم في وجه صهرها.

- جئتكم نادمًا يا عمة، الرجاء سامحوني، لقد لعب الشيطان بعقلي..

ترجاها وهو يحاول أن يمسك يدها ليقبلها، لكنها سحبتها بسرعة وأضافت:

- أغرب عن وجهي أيها الأحمق، أتدمر حياة ابنتي ثم تأتيني؟ لا أرغب في رؤيتك أمامي، أنت من عاملته كإبني أو أكثر، تتجرأ على إيذائنا بأشنع فعلة! كم كنت مخطئة! غادر!

- من هذا؟ هل هو ذلك الوغد اللعين؟!

تساءل الأب من الداخل.

- أنا يا عم، اسمح لي بالدخول دعني أفهمك، اعطني فرصة.
- أرحل من هنا يا لئيم، والأفضل أن تطلقها فهي سيدتك وأنت لا تستحقها، فلا داعي للمحاكم والفضائح، هيا انطلق وقد أعذر من أنذر..

مسك زوجته من ذراعها وأدخلها وأغلق الباب في وجهه..وهي تردد:

- إيمان بنتي، إيمان بنتي..

عاد الزوج من حيث أتى، وهو في حالة نفسية لا يحسد عليها، شعور بالندم القاتل، شعور بالدونية والوضاعة واحتقار النفس، شعور بالضياع والانهيار..آه، لقد دمرت حياتي بيدي! اتبعت الهوى وضل عني السبيل! خسرت زوجتي وجنتي وبيتي!...لابد أن أبحث عنها وأردها مهما كلفني ذلك! أين يمكنها أن تذهب يا ترى؟

..وهو غارق في التفكير، اتصلت به هدير..

- ماذا تريدين؟ماذا بقي بيننا؟!

قالها بنبرة غاضبة.

- ما الأمر، لم تكلمني بهذه الطريقة؟
- لقد اخترب بيتي بسببك.
- بسببي! أنت الذي دعوتني، وأنت الذي خنتها وليس أنا! لم أضرب لك الفنجان لتحبني!
- لولا خضوعك وسهولتك لما وصلت لما أنا عليه. لا أريد سماع صوتك بعد الآن، فاهمة؟!

وأغلق الهاتف في وجهها.. نظرت هي الى شاشة جوالها مستغربة:

- ما به هذا الرجل؟ هل جن؟! تبا لكم! كلكم متشابهون، تعشقون الخيانة ولما تتخلى عنكم نساؤكم تنتفضون وتدعون الشرف!

مشى الزوج وحيدًا، وهو لا يكاد يعرف أين هو، ولا يكاد يرى أحدا رغم مرور العديد أمامه وهو يفكر "أين أذهب الآن؟ لا أريد العودة الى البيت" مر من الوقت الكثير. طاف الشوارع معظمها يحدق في وجوه المارة لعله يتعرف عليها بينهم..

***

- الوقت تأخر يا عبده، ومازن لم يأت بعد، لم أعد قادرة على تحمل هذا الجو البارد، سأجلس في الداخل.

قالت سعاد.

- يبدو أنك تعجزتِ يا سعاد، العوض على الله.

قال العم ممازحًا إياها.

- كبرنا يا عبده اللهم أحسن خاتمتنا..
- لا تغضبي، فأنا أمزح معك، لا زلتِ شابة يافعة كأنك برعم طالع..

ابتسمت سعاد في خجل ومشت مرتبكة للداخل.

***

بينما كانت نور تقرأ كتاب نظرية الفستق، وتختلس النظر الى إيمان دون النطق ببنت شفة، جلست هذه الأخيرة على السرير أمامها وقد غيرت ملابسها، وهي تريد فتح حديث بينهما قالت:

- ماذا تدرسين في الجامعة يانور؟

ردت عليها نور ببرود واضح:

- آداب لغة عربية.

وتابعت القراءة.

- أنا مدينة لوالدك، انه رجل طيب واحسدك عليه، ليت أبي مثله.
- شكرًا لك.

قالتها دون أن ترفع عينيها عن الكتاب.

- ألا تودين معرفة قصتي؟
- إن أردت ذلك، فلا مانع عندي.

وهنا وضعت الكتاب جانبا.

- كنت فتاة مثلك، أحب الحياة ولا أحمل هم الغد. كانت كل طلباتي ملباة بفضل والدي، كنت جميلة المظهر، أحب كل الناس، فأنا بطبعي اجتماعية، كل جيراننا يحبونني إذ تربيت على أيديهم بين بناتهم، الخالة نجاة، و العم سعيد ومروة بنت الجارة فاطمة وغيرهن كثيرات..كنت أحفظ كل زوايا بيوتهم في حارتي، وأعرف كل الشوارع التي اعتدت على المرور منها لما كنت أدرس، لا زلت أذكر أصدقاء طفولتي..باختصار كانت حياتي جميلة، أعيش أيامي وأرسم فيها أحلامي كأي فتاة في سني.. الى أن جاء النصيب وتزوجت فانقلب الفرح الى قرح وأحلامي الوردية إلى كوابيس الخيانة، أضحت حياتي بلا معنى ودُمرت نفسيتي، زوجي دمرني...

بدأت الدموع تنساب على خديها ونور تنصت اليها باهتمام وشفقة..ثم اقتربت منها واحتضنتها:

- هوني عليك يا إيمان، لعلها رحمة من الله وسيفرجها عليك من حيث لا تحتسبين فلا تحزني..
- ونعم بالله، ما أثر على نفسي كثيرا وآلمني، هو رد فعل أهلي ؛ لقد تخلوا عني ولم يعبؤوا بمعاناتي خشية معرفة الناس وتسليط ألسنهم علينا.. شعرت أنني ضعيفة لا سند لي أستند عليه ولا متكأ ولا حضن ولا مأوى..شعرت بالفراغ التام، لا أحد يشاركني همومي وغمومي، ولا حتى أقرب الناس الي وهي أمي..
- لا أكاد أصدق، أهلك يفعلون معك هكذا؟! على كل، أنا أيضا تخلت عني أمي وتطلقت من أبي لما كنت أربع سنوات، فإلى الآن لا أعرف شكلها.. فأبي طوال حياتي كان لي أبًا وأمًا في نفس الوقت..
- أنتِ محظوظة به، نعم الأب هو، لكن أنا تخلى عني الجميع..

على الحادية عشر، وصل مازن بسيارته الفاخرة ومعه شابان لا يتعدى عمرهما الثلاثين...

(13)

- أهلًا أهلًا بشمهندش، الحمد لله على السلامة.

قال العم مرحبًا.

- الله يسلمك يا عم عبده كيف حالك؟
- الحمد والشكر لله.

سلم عبده على مازن وأصدقائه وأدخلهم الى البيت.

- هاهو قد وصل يا سعاد.
- مرحبًا بالجميع مرحبًا.

ردت سعاد.

- شكرًا لك يا عمة سعاد.

قالها مازن وابتسامة ودودة تتداعب فمه.

- هل من طعام يا سعاد، نحن نتضور جوعًا ههه.
- طبعًا، في غضون دقائق فقط، هو جاهز.

جلس مازن وعلاء وماجد يتجاذبون أطراف الحديث مع العم عبده، نظر ماجد من الشباك يتأمل الأشجار والنسيم يداعب أوراقها:

- الجو جميل هنا، يسوده الهدوء التام و الهواء النقي.

رد علاء وهو ينصت إلى نقيق الضفادع

- أكيد، أفضل من زحمة المدينة وتلوثها.

تدخل مازن في الحديث:

- السكان هنا لا يسهرون ويستيقظون باكرًا.
- حتى البيت جميل ومرتب.
- هذه الأرض اشتراها أبي من زمان، طبعا كانت أرضا صحراوية جرداء، ليس فيها ماء ولذلك لم تكن غالية في وقتها، اما اليوم فهي كما ترون جنة على الأرض.
- والدك رجل حكيم ذو نظرة مستقبلية ثاقبة.
- نحن نعمل على تحديثها أكثر بجلب المعدات اللازمة لرفع الانتاج.

***

- الوقت مضى وأبي لم يعد بعد.

قالت نور

- أتصلي به لعله مشغول.
- قبل ذلك سأحضر وجبة خفيفة آكلها فأنا جائعة.
- سآتي معك وأشاركك اعدادها وتناولها هههه؟

دخل الثنائي المطبخ ليحضرن جبنًا وشرائح خيار وخبزا مع سلطة وحبات بيض..في الأخير وصلت نور سخان الشاي الكهربائي بالمقبس...

ما إن أنهت سعاد ترتيب الأكل على الطاولة بدقة واحترافية أخبرت العم أن العشاء جاهز فليتفضل الضيوف، أخذ الجميع مقعده في الطاولة وهم معجبون بترتيب وضعية الصحون والأطباق والملاعق والسكاكين المصطفة على المناديل، قدم كل واحد لنفسه مايريد من الطبق الذي يعجبه وبدؤوا يأكلون..

قام العم وقال:

- علي المغادرة يا بشمهندس، أي خدمة؟
- لا، تفضل يا عم ومعذرة على طول الانتظار.

ودعهم العم وذهب.

***

كان الكل قلقًا لا سيما منال التي تفكر بالاتصال بالرقم الذي اتصلت منه أختها، لكنها تقول أن الوقت تأخر فلننتظر إلى صباح الغد ونتصل..

***

في تلك الأثناء، كانت هدير تبدو متوترة فقال لها زوجها:

- مابك اليوم، أشعر أنك لست على بعضك وكأن بك شيئا ما؟!
- من؟ أنا؟! لا أنا بخير لا تشغل بالك، اعرف فقط أنني أحبك وقد اشتقت إليك.
- أنا كذلك مشتاق اليك عزيزتي ولكن هناك شيء يحز في نفسي ولا أستطيع تحديده بالضبط.
- ماذا هناك، ألهذا الحد أبدو غير طبيعية! أتريد أن تعكر صفو مزاجي؟
- لا أبدًا، إنما أريد الاطمئنان عليك فقط.
- أنا بخير فلا تقلق.

ثم وضعت على جبينه قبلة و تسللت ببطء الى الغرفة الأخرى، فلم تتحمل أكثر خوفًا من أن تفضحها ملامح وجهها المضطربة.

***

وصل العم الى بيته وطرق على الباب لينبه ابنته أنه أتى.

- لقد جاء أبي..تفضل بالدخول يا عبده.

فتحت له وهي تمازحه.

- السلام عليكم، كيف حالكن؟ ههه تبدو الأمور على ما يرام
- نعم أحسن بكثير ههه.

ردت إيمان.

- ولِمَ تتأخر دائما يا أبي، تعرف أن حضورك لا يعوضه شيء بالبيت، اليوم آخر إنذار لك، المرة القادمة ستبيت بالخارج.

نظرت إيمان الى الأرض وهي تضحك على المزاح الجريء من نور..

- آسف يا حضرة الضابط، لن يتكرر هذا.

بعد أن غسل العم يديه جلس مع البنتين حول مائدة الطعام يأكون ويتندرون بالحديث.

***

تعب الزوج من المشي وحيدا في الشوارع، فجلس على مقعد في موقف حافلات، عاود الاتصال بإيمان ولكن من غير جدوى، هاتفها مغلق.

***

أخذ عبده رشفة من كوب الشاي:

- جاء مازن منذ قليل برفقة رجلين.
- في هذا الوقت المتأخر يا أبي؟

- نعم هناك طلبات تصدير الفاكهة، يمكن أن يكونا جاءا لفحص الثمار كالعادة لما يأتي موسم التصدير.
- لم لا تشاركينا الحديث يا إيمان؟
- لأني لا أفهم في الفواكه ولا أعرف من هو مازن.
- هو ابن المالك للمزرعة، ولديهم شركات في المدينة، والده كان عقيدًا في الجيش قبل أن يتحول على المعاش، هو انسان خلوق وله عدة مشاريع ناجحة.
- أبي، غدا سأساعدك في عملك.
- شكرًا لك

بعد انتهاء الأكل انصرف العم الى غرفته لينام وبعده البنتان.

لكن إيمان تشعر بالقلق والتوتر فلم تستطع النوم، خرجت من الغرفة حتى لا تزعج نور التي نامت كأنها طفلة صغيرة بمجرد أن وضعت رأسها على الوسادة، وضعت شالًا أسودًا على كتفيها وجلست في فناء البيت تتأمل النجوم وتفكر في عائلتها.

***

تمامًا مثل مازن وأصدقائه الذين تحلقوا في ساحة الفيلا بعد أن ناولتهم سعاد فناجين قهوة منعشة.

- شكرًا يا عمة سعاد، يمكنك أن تستريحي الآن لقد أزعجناك.

تركتهم وهي تقول:

- لا شكر على واجب يا بني.

وقف علاء يحدق في أرجاء المكان مستمتعا بالهدوء السائد وفجأة لمح فتاة واقفة مولية ظهرها اليهم، فعلق نظره باتجاهها.

- إلى ماذا تنظر هكذا يا علاء؟
- توجد فتاة واقفة هناك وأشار بيده.

وقع من على كتفها الشال فخفضت ظهرها لتلتقطه وهم يمعنون النظر فما رأوا شيئًا..

- أين يا رجل؟
- لا يوجد أحد هنا غير العمة سعاد والبواب والعم عبده وابنته، أظنها صغيرة فأنا لم ارها منذ مدة طويلة ولا يمكن أن تخرج في مثل هذا الوقت.
- أنا متأكد من وجود فتاة هناك.
- أحترس فقد تكون جنية.

عاد مازن وماجد الى مقعدهما وهما يسخران من علاء، وقفت مرة أخرى، فرآها.

- هناك انظروا ألم أقل لكما هناك!

أحست إيمان بالبرد فقررت الدخول الى البيت وبينما وقف الرجلان للنظر إليها لكنها كانت قد اختفت عن الأنظار، فتسائلا:

- هل أنت بخير يا علاء؟
- هيا إلى النوم فلا بد أن السفر قد أثر عليك.

تسمر علاء في مكانه محاولًا إيجاد تفسير لما حدث أمام عينيه.. لكن علامة الاستفهام بقيت تطارده حتى دخل البيت..

*****

مع فجر اليوم التالي، استفاق عبده وذهب يتفقد المزرعة، فالعمال يشرعون عملهم باكرًا. حتى سكان تلك المنطقة كلهم يبكرون في ابتغاء الرزق، فمن النساء من تخرج لمساعدة زوجها في الحقل ومنهن من ترعى غنمها ومن تبقى في البيت تخبز خبز الدار أو تنظف بيتها قبل حلول الحر.

الطيور على قمم الأشجار أو على شرفات البيوت تغرد سمفونياتها الصباحية، وبعض السكان عندهم بط وإوز ودجاج بلدي أحمر، المناظر الخضراء خلابة كأنها رسمت بدقة وتناسق عاليين، انه إبداع الخالق باختصار..وعلى تلك النغمات، وأشعة الشمس الذهبية المتسللة عبر النافذة استفاقت نور وقد أدركت أنها السابعة والنصف صباحًا..فأسرعت إلى الحمام تغتسل وتنتحل ثيابها الأنيقة.

وبما أن إيمان كانت لا تزال نائمة، لم ترد أن توقظها ودخلت المطبخ تحضر فطور الصباح المتكون من حليب وجبن وفطيرة خبز، بعد تناول فطورها، توجهت نور إلى مكان تواجد أبيها الذي كان يصلح محرك الرش.

- صباح الخير أبي.

رفع رأسه وهو يمسح العرق من على جبينه بظهر يده المتسخة بشحوم المحرك.

- أهلًا حبيبتي، ما الذي جاء بك إلى هنا الآن؟
- شعوري أن أبي في ورطة ويحتاج مساعدتي.

وبالفعل أعطاها المفاتيح وأراها أين الخلل، ثم رجع الى الخلف يستظل تحت شجرة الصفصاف الوارفة الظلال، أخذت مكانه تفصل الأسلاك من هنا وتشبكهم من هنا وتفتح البراغي حتى لا تحجب عنها الرؤيا من الداخل.

بينما كانت سعاد منهمكة في تنظيف البيت وغسل الأواني وتحضير الفطور للمهندس مازن وضيوفه، استفاقت إيمان في الجهة الأخرى من المزرعة تتحسس مكان نور فلم تجدها..خرجت الى رواق المنزل تنادي عليها:

- نور! نور! هل أنت هنا؟ يبدو أنهم ذهبوا كلهم.

بدورها، أخذت دوشًا صباحيًا، ثم فرشت حقيبتها على السرير واختارت من بين ملابسها الفستان الأزرق، بعد ترتيب نفسها وتسريح شعرها المتدلي على كتفيها، بدأت تبحث عن هاتفها بين طيات الملابس.

- أين اختفى؟! أذكر أنه كان معي آخر مرة!

ورغم أنها بعثرت كل أغراضها لم تجده..

***

أشار مشرف العمال أنها العاشرة وقت الاستراحة وتناول الفطور، وإذا بهم يفترشون الأرض تحت ظل الأشجار متحلقين على شكل مجموعات بين إناث وذكور يتناولون لُمجاتهم.

أما العم عبده فأوقد نارا بالحطب ووضع إبريق الشاي عليها وجلست معه بنته نور من جهة ومشرف العمال من جهة الذي قال لها ممازحًا:

- الله يعطيك العافية مهندس نور، المحرك الدن يعمل، أبن الوز عوام.
- شكرًا يا عم محمود شكرًا..
- أستريحي وأشربي كوبًا من الشاي فلقد أتممتِ يومك أنتِ.

***

استفاق علاء قبل زملائه، اغتسل وخرج ببدلة رياضية يمارس رياضة المشي وسط أشجار الفاكهة والنباتات والورود..

خرجت إيمان أخيرا بحذاء ذي كعب عال ليزيدها طولًا فهي متوسطة الطول..خرجت تتفقد العم وبنته، رمق علاء طيفها من بعيد تسائل:

- إنها هي نفس هيكل أمس..إنها حقيقية وليست جنية!

زاد في السرعة ليلحق بها، بعد دقائق، لمحتها نور من بعيد فلوحت لها بيدها أن تعالي نحن هنا، سأل المشرف:

- من هذه الجميلة؟
- إنها بنت أختي.

اقتربت منهم وبعد التحية قالت لنور:

- ماالذي جاء بك الى هنا؟ أتهربين وتتركيني وحدي؟
- جئت أشتغل وفي المساء أجني مالًا كثيرًا.

ونظرت الى أبيها وهي تضحك.

- رائع، كلنا نشتغل إذن.

قالت إيمان.

تتبع أثرها علاء ثم توقف متخفيًا وراء شجرة كثيفة الأغصان لما وقفت أمام الجميع.

- آه، الآن استرحت انها حقيقة وليست وهمًا..وهي بالفعل جميلة جدًا.

حملق فيها دقائق ثم عاد الى الفيلا وصورتها لا تزال عالقة في ذهنه كأنها أمامه.

- لا بد لي أن أتعرف عليها من هي يا ترى؟

دخل وهو في عجلة من أمره، انتشل ملابسه الرياضية ولبس سروالًا وقميصًا كلاسيكيًا أنيقًا مع حذائه اللماع ورص بعض قصاصات أوراق في جيب صدره مع القلم واتجه عند العم، رأته سعاد:

- إلى أين يا بشمهندس ألا تريد أن تفطر؟
- سأعود بسرعة، شكرًا لك يا عمة..

***

انتشر خبر اختفاء إيمان في الحي، الكل أتى إلى بيت أهلها لمعرفة السبب الحقيقي ودحض الأقاويل والإشاعات التي تثار بين الفضوليين لا سيما النساء.

- لقد بتنا علكة في فم الجميع.

قالت الأم.

- كرهت الخروج الى الشارع.

رد الأب من جهته.

- ولماذا كل هذا الأسى والتحسر عليكم، هل قامت بشيء مشين حتى تندبوا حظكم؟ أنسيتم أنكم أنتم السبب؟!

واجهتهم أمال.

- لا تسمعيني صوتك أنتِ مفهوم!
- خلاص، كما تريدين يا أماه.

ودخلت غرفتها.

- سأخرج للسؤال والبحث عنها لعلي أجد خبرها.
- وأين تبحث، هل تعرف أي اتجاه أخذت؟ اتصلنا بكل العائلة والأقارب ولم تذهب عند أحد منهم.

***

اقترب علاء من مجلس الجميع متصنعًا أنه يتفحص الفاكهة.

- أبي، من هذا وماذا يفعل هنا؟
- إه، إنه المهندس علاء صديق مازن.

وقف عبده واتجه نحو علاء.

- أهلًا بشمهندش كيف أصبحت؟
- أهلًا يا عم عبده، كيفك أنت؟
- أنا بخير وأنت؟
- الحمد لله، كما ترى فأنا ألقي نظرة على الفاكهة هل علقت بها بعض الطفيليات أم لا؟
- تعالى، تفضل اشرب معنا كوبًا من الشاي.

ابتهج قلبه لأنه نال فرصة ذهبية لرؤية فتاته عن قرب

- نستسمحك على الجلوس على الأرض يا بشمهندس.
- لا عادي، هي أمنا، منها خلقنا وإليها نعود.

انتهت النصف ساعة من الاستراحة ونهض العمال يواصلون مهمتهم.

*****

(15)

بينما استأنف العمال جني الفاكهة، أخذ علاء مكانه قريبًا من العم عبده وجلس.

- دعني أعرفك على هاتين، هذه ابنتي نور.

هزت نور رأسها مرحبة:

- أهلًا.
- أهلًا أنا علاء.
- وتلك..

قاطعه علاء:

- الجنية؟
- ماذا، جنية؟! إنها إيمان بنت أختي.

نظرت إليه إيمان وقد بدت على وجهها ملامح الانزعاج.

- آسف، سيدتي، لا أقصد الإساءة ولكن دعيني اوضح؛ بالأمس كنا نجلس هنا ليلًا ورأيتك من بعيد أمام ذلك البيت ولكن أصدقائي لم يصدقوني وقتما أخبرتهم وقالوا ماهي إلا جنية مرت من هناك.

اصطنعت إيمان ضحكة صفراء وقالت:

- وما يدريك أنني لست بجنية فكل الاحتمالات واردة.
- المهم تشرفت بمعرفتكما وأعتذر لك على الإحراج، علي المغادرة الآن.
- لكنك لم تشرب الشاي يا علاء.
- لا. لا شكرًا يا عم عبده.

من زاوية العين نظرت نور الى إيمان وهي تبتسم:

- لقد خجل.

قامت إيمان وقالت:

- خليك أنتِ هنا، أنا من أذهب وباشر عملك..

انسحبت هي بهدوء وعلاء يراقبها حتى اختفت عن الأنظار، ابتسمت نور وهي تحدث علاء:

- لا تزعل، فإيمان طيبة إلا أن لها عقدة مع الرجال.

عادت الى البيت تبحث عن الهاتف.

***

أخيرًا، استفاق مازن وماجد من النوم، وبعد ترتيب أنفسهم جلسا يتناقشان عن المهام التي يقومون بها اليوم من فحص الثمار وأخذ عينات الى المخبر.

- الفطور جاهز، تفضلوا

قالت سعاد وهي واقفة على باب الغرفة.

- شكرًا لك..

ثم استأنفت عملها بتنظيف صالة الضيوف.

وهي تنظف تحت الأريكة، وقع نظرها على هاتف ملقى على الأرض، سحبته بيدها وعلى التو عرفت أنه ينتمي لإيمان لأنها رأته في يدها من قبل.

***

ذهب محمد، زوج إيمان، عند عمها لعله يجد زوجته هناك فيستسمحها و تعود معه.

***

أنهى الشباب فطورهم والتحقوا بمكان العمل.

- هاهو علاء مع العم عبده.

بادر مازن بالقول.

- ومن هي تلك البنت بجواره؟ أوو كم هي جميلة ورشيقة.

وقف العم مرحبًا بهم:

- أهلًا بشمهندش مازن.
- أهلًا كيف الحال، هل كل شيء على مايرام؟
- كما ترى، الحمد لله.
- ومن هذا الأسطى (الميكانيكي).

قال ماجد مازحًا وهو ينظر إلى نور وقد اتسخت ملابسها ببعض شحوم وزيوت المحرك

- إنها ابنتي نور.
- أهلًا يا نور لقد كبرت وتغيرت كثيرا عما كنت عليه.
- نعم الأيام تسير والعمر يتقدم بنا يا بشمهندس مازن.

حاول ماجد أن يطف من أثر مزحته السابقة:

- لا تزعلي أن قلت عنك الاسطى، فأنا أمزح.
- لا، لا عليك فأنا لا أستحي مما أقوم به أبدًا خدمة لأبي
- جميل، ولأنك كذلك فوالدك يعتمد عليك.

وضع مازن يده على كتف عبده:

- نريد عينات من كل صندوق فاكهة للفحص.
- حاضر، أمهلني خمس دقائق وتكون بين يديك بشمهندس.

انتفض العم من مكانه يبغي العينات، وكذلك أخذت نور سلة وراحت تقطف بعضًا من البرتقال للفحص.

تبعها ماجد:

- ألاحظ أنك ماهرة في قطف الثمار.
- أجل، تربيت هنا ولأبي الفضل في تعليمي كل شيء.
- وهل تدرسين؟
- نعم في الرابعة جامعي.
- جميل، بالتوفيق.

جلس مازن تحت شجرة يدون بعض الملاحظات وإلى جانبه علاء وما لبث حتى جيء إليه بالعينات من طرف العم وبنته وماجد.

همت سعاد بالذهاب الى بيت العم تتفقد إيمان وتسلمها هاتفها.

***

على الساعة الثالثة عصرًا وصل محمد إلى بيت عم زوجته وعند طرقه على الباب، فتحت له سهيلة؛ طفلة في العاشرة من العمر.

- عمو محمد.
- من بالباب يا بنتي؟

قال الأب من الداخل.

- قلت لكم العم محمد زوج إيمان يا بابا.

قام العم عادل يستقبله.

- أهلًا بك محمد كيف الأحوال؟ وإيمان أين هي ألم تأت معك؟

فعرف عندها أنها لم تأت الى هنا وأن عمها ليس على اطلاع بما جرى.

- لا جئت وحدي، كنت مارًا من هنا فبدر لي أن أزوركم.
- شكرًا لك، شرفت ونورت.

ثم جاءت زوجة العم وابنه الأكبر فسلما عليه..

***

وصلت سعادعند إيمان، طرقت الباب ففتحت لها:

- أهلًا يا خالة تفضلي؟
- أهلًا بك شكرًا ليس عندي وقت، جئت لأعطيك هاتفك وجدته تحت الأريكة هل هو لك؟
- أه شكرًا جزيلا، كم بحثت عنه ولم أجده.
- هاهو إذن، علي العودة الى الفيلا لدي عمل كثير.
- انتظريني دقيقة وسآتي معك لمساعدتك.
- لا لا خليك على حالك لا أريد إزعاجك، ثم لا يجب أن يراك مازن ويستفسر من أنت.
- حسنًا كما تشائين، فما أردت إلا المساعدة.

- أعلمي أنني أريد الحفاظ على وظيفتي هذه فليس لي غيرها أسترزق منها خاصة بعد أن تخلى عني إخوتي وأنا التي ربيتهم وكبرتهم وزوجتهم ثم رموني في الشارع إرضاء لزوجاتهم.
- أنا آسفة، حقًا إنه زمن خلت فيه قلوب الناس من الرحمة.
- على كل حال لكل منا هموم ومشاكل ولكن نحاول فقط النسيان والتغاضي، والأدهى والأمر أن معظم الحالات نجد الأقربين هم السبب في تعاستنا.
- لا تحزني فالله موجود ولا نعرف متى يفيض علينا برحمته
- الحديث معك يطيب لي يا إيمان ولكن يجب أن أذهب، انتبهي لنفسك.

*****

(16)

أوصلت إيمان هاتفها بالكهرباء لتشحنه، بعد وقت قصير؛ وجدت أن هناك عدة رسائل وصلتها من زوجها ومن أهلها والكل يحثها على العودة الى البيت، اتصلت بأختها منال وإذا بهذه الأخيرة تقفز:

- أختي، إيمان، أين أنت؟
- في أرض الله الواسعة، كيف حال الجميع؟
- لسنا بخير، أخبريني أين أنت فنحن في حالة يرثى لها..الكل يبحث عنك، أبي مريض، أمي حزينة..
- لا أريد العودة إلى من قسوا علي.
- عودي من أجلي أرجوك، أنا لا أتحمل غيابك..

.سمعت الأم ابنتها تتحدث فقالت:

- هل هذه إيمان؟

أشارت لها ابنتها برأسها نعم و قالت:

- هذه أمك معك.
- ابنتي، إيمان، لماذا تعملين فينا هذا يا بنتي، قلبي يتمزق، عودي إلى البيت من أجل والديك.
- حتى أنا قلبي تمزق ولم يشعر بي أحد.
- لا، لا تفعلي هذا بأمك وأبيك، أصبحنا مضغة في فم كل الناس، أيرضيك أنك وضعت رأس أبيك في الوحل.
- وماذا فعلت، هل ألحقت به العار؟

نطقت منال:

- خلاص أمي كفي عن هذا الكلام.
- أنتِ اسكتي..

ردت عليها أمها وهي تأخذ الهاتف الى زوجها:

- خذ، هاهي بنتك.
- إيمان..

قال وقد غلبه البكاء:

- لماذا يا بنتي، لماذا؟ اشتقت إليك ألا تأتين؟ ألا تعودين لرشدك؟

سمعت إيمان صوت أبيها وأحست بانكساره، فهي لم تراه يبكي أمامها من قبل، انهارت بالبكاء هي أيضا ولم تنطق ببنت شفة.

- يا عزيزتي تعالي ولا تخافي، لن يجبرك أحد على شيء هذا وعد مني، أيرضيك بهدلتي بهذا الشكل وفي هذا العمر! نعم أعترف أنني قسوت عليك، ولكن لم أعهدك إلا مسامحة طيبة القلب، هل يروق لكِ أن يكون اسمي على أفواه الجميع يقولون أن ابنة فلان هربت أو هي مفقودة؟

هنا دخلت نور ووجدتها تبكي و الهاتف بجوار أذنها:

- إيمان، ماالأمر؟

بلا استئذان أخذت منها الهاتف وقالت:

- ألو، من هذا؟
- إنه أبي؟

ردت إيمان.

لم ينتبه لها والدها فواصل الحديث وهو يترجاها بالعودة وتصحيح ما فات الى أن قاطعته نور:

- أهلًا يا عم كيف حالك؟

هنا انتبه الأب أن الصوت ليس صوت بنته:

- الحمد لله، من أنت؟
- أنا نور صديقة بنتك إيمان.
- أنتم من أين أخبريني عن مكانها أو أقنعيها بالعودة.
- لا تقلق يا عم من فضلك، اسمحلي لحظة.

استدارت الى إيمان وقالت:

- أيهون عليك أباك وهو يبكي، بل يحترق عليك شوقًا وندًما؟
- طبعًا لا، قلبي ينفطر لما سمعته وهو على هذه الحالة، فلم أكن أتوقع أن يصل به الحال إلى ما وصل.
- أنظري إلي، ستعودين إكرامًا لشيبته وغير مسموح لك أن تعترضي.

هزت رأسها عموديًا وطأطأته.

- حاضر.
- لا تهتم يا عم واسمعني جيدا. ستعود ابنتك إليك وإن لم تأت فسأحضرها بنفسي، مع السلامة ياعم.
- شكرًا لك، حفظك الله ورعاك يا بنتي.

أرجعت الهاتف لإيمان:

- نعم بابا.
- أين أنتِ الآن، اعطني العنوان وسآتي إليك.
- لا لا، أنت فقط انتظرني في موقف السيارات بعد حوالي ساعة سأكون هناك.

استبشر الأب خيرًا وقال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"، وقام يجهز نفسه ويخرج متجهًا إلى الموقف الذي أخبرته عنه.

من جهتها، نور قالت لإيمان وهي تحتضنها:

- شكرًا لك حبيبتي، فعلًا لن تندمي على الأحسان الى والديك، والله لا شيء يعوضهما أو يعدل رضاهما عليك.
- أكيد، يعز علي أن أكسر خاطر أبي أو أن أتسبب في أن يلحق به الناس السوء.
- حسنًا، جهزي نفسك وأنا أتصل بأبي لنوصلك هناك.
- لا تزعجيه، سأدبر حالي لوحدي.
- عن أي إزعاج تتحدثين، سيغضب عليك لو ذهبت دون علمه.
- طيب على كيفك يا نور.

رن هاتف العم وهو منهمك في عمله:

- ألو نعم أميرتي، الجواب نعم فماذا تطلبين؟
- أبي، اسمعني جيدًا.
- نعم، خير؟
- لقد اتصل أبو إيمان بابنته ويريدها أن تلحق به في التو والحين، هي بصدد تجهيز نفسها للذهاب.

- أنا قادم.

اعتذر من مازن وطلب المغادرة وانصرف.

تبعه علاء:

- ماالأمر يا عم؟ هل كل شيء تمام؟
- لا شيء هناك يا بشمهندس، انما البنت التي رأيتها مع بنتي تريد الذهاب وعلي أن أوصلها الى المحطة وأعود.
- آه، إيمان، هل ستعود إلى بيتها؟

وكأنه شعر بحزن لمغادرتها.

- نعم.

***

إيمان على أهبة الاستعداد، وأبوها هاهو يصل الى الموقف وجلس ينتظر ويترقب والوقت يكاد لا يمر عليه.

أما علاء، فبعد أن فكر قليلًا تبع العم وقال له:

- هل تسمح لي أن أوصلكم بسيارتي يا عم؟
- لا، لا داعي لذلك فمعي سيارة المزرعة ثم لا نريد إتعابك معنا.
- لا لا أرجوك ليس هناك تعب قط.

ومع إلحاحه وافق العم وإن كانت نفسه تحدثه أن هناك شيئًا يريده علاء، رجع هذا الأخير مسرعًا ليحضر سيارته وملامح الفرحة بادية على وجهه.

وقف عبده وعيونه تلمع بالدموع:

- إيمان، هل جاء الوقت لتفارقينا بعدما اعتدنا على وجودك بيننا!
- نعم يا عم إنه الوقت، ولكن لن أنسى مافعلته معي، فبعد الله لولاك ما أدري ما كان سيحدث لي، فالشكر لك على كرمك وفضلك.
- لا تقولي هذا يا إيمان فأنت بنتي الثانية، المهم أتمنى لك السعادة.

لحقت بهم نور وهي تلملم شعرها وأشارت إلى أبيها ليساعدها في حمل حقيبة إيمان، وما إن خرجوا إلى فناء البيت حتى وجدوا علاء متكئًا على سيارته الفارهة، تساءلت نور ماذا يفعل هنا هذا.

- عندما علم أن إيمان ستغادر اليوم أصر أن يوصل جنيته بنفسه.

استووا جميعًا داخل السيارة وانطلق بهم علاء إلى خارج المزرعة، كانت الشمس قد اقتربت من مغيبها.

تساءل مازن وماجد لما رأوا سيارة علاء تغادر، إلى أين هو ذاهب ياترى!

من حين لآخر كان علاء يلقي بنظرة على إيمان من خلال المرآة و العم لاحظ ذلك إلا أنه لم يقل شيئا..لم يكن يجول في رأس إيمان الا الأجواء التي تعود فيها. فزوجها لما وجد أن هاتفها يعمل من جديد شعر كأن الحياة عادت له.

اتصل بها فلم ترد وأغلقت عليه الخط..طوال الطريق تقريبًا لم يتحدث الجميع الا نادرًا، عند الوصول لمحت إيمان أباها يقف أمام البوابة الكبيرة وأعمدة النور كانت تضيء لأن الظلام قد حل.

ما إن توقفت السيارة أمامه حتى أسرعت إلى أبيها تحتضنه وتشهق بالبكاء..كانت لحظة أوقفت الأنفاس وأسالت دموع الجميع..

- سامحني يا أبي أرجوك، سامحني..

بكى علاء من الموقف رغم جهله بالسبب.

صافح الأب الرجلين والبنت وبنته تقول:

- هذا هوالعم عبده وهذه نور ابنته التي كلمتك على الهاتف وهذا المهندس علاء.

قدم الوالد تشكرًاته للجميع وسلمت عليهم إيمان وجرت حقيبتها إلى جانب والدها ونظرات علاء لا تكاد تغادرها وكأنه يقول لا تذهبي وتتركيني، ابقي على مرأى مني..

*****

عدت الى البيت مع أبي والقلق يسيطر علي، خشيت أن يعيدني إلى زوجي عنوة، كما خفت أن تتغير ردة فعل أبي في البيت، فيعاقبني على ما أقدمت على فعله دون استشارة أحد، الغريب في الأمر أنه عاملني بلطف وحنان لم أعهدهما من قبل، كان يشد على يدي طول الطريق حتى قلت له:

- لا تخف يا أبي لن أهرب.

فتبسم ضاحكًا وقال:

- دعيني أعوض لك عما مضى فقد كنت قاسيا عليك وأنا آسف على ذلك، أنت ابنتي البكر وفرحتي الأولى، كنت دائما آخذك معي حيث أذهب ولكني قسوت عليك بعد الزواج وذلك عن سوء تقدير وخطأ في التدبير.

قبلت يده التي كانت تضمني إليه وأنا أشعر لأول مرة باهتمام والدي بي بعد زواجي وكأنني عدت إلى أيام إيمان الصغيرة، بنت أبيها المدللة التي كان يحملها على كتفه ويأخذها معه الى المسجد والى السوق وترافقه وهو يزور أصحابه.

مع وقت صلاة العشاء، الحارة خالية إلا من بعض الشباب الجالسين عند قهوة العم إبراهيم، ينتظرون بدء مباراة كرة القدم، وصلنا الى البيت.

بعض الجيران ينظرون ويتهامسون فيما بينهم، عندها شد أبي على يدي وكأنه يقول لي امض ولا تلتفتي لأحد فأنا معك.

هاهي الخالة نجلاء تقابلنا على سلم العمارة وهي تهتف:

- إيمان، لقد عادت إيمان.

وتسلم علي وتعانقني، ومن صوتها الجهور سمعت أمي كلامها من البيت فخرجت مسرعة، حافية القدمين، إذ لم يكن هناك وقت للبس الحذاء..احتضنتني بشدة ورفق في نفس الوقت..يا الله، إنه حضن الأم، إنه الدفىء، إنه الأمان، إنه الطمأنينة، إنه منبع السلام، إنه عين الرحمة، حضن أنساني في لحظة كل الصعاب والأتعاب التي مرت علي، إنها أمي وما أدراك ما أمي..!

دخلنا البيت نمسح دموعنا وإذا بمجموعة نساء تجمعت عند بابنا لما سمعن بقدومي فرحت أسلم عليهن وكأني عدت من سفر طويل..

منال أختي كادت تطير من الفرحة، وأخي يوسف ذو الحادية عشر عام..الكل استقبلني بحفاوة كأن عودتي معجزة..

قال أبي للجميع:

- دعوها تستريح فهي متعبة.

ظنًا منه أن الجنين مازال في أحشائي.

وما إن جلست حتى اتصل بي زوجي فلم أرد عليه وأعطيت الهاتف لأبي بعدما همست له أنه زوجي.

- ألو من معي؟

كنت أفكر أنه سيستدعيه ليأخذني وإذا به فاجأني برده القاسي والجامد وطلب منه أن يحضر المأذون لتطليقي والا سيرفع قضية طلب الخلع من المحكمة..لم أفهم كيف استجاب ووافق بكل برودة..

جاءتني أمي بطعام طازج وجلست قبالتي وقالت:

- كلي هذا كله ليتغذى جنينك، فهو في أهم مرحلة.

أخذ أبي مجلسه على الأريكة وسبحته في يده، أكلت ملاعق معدودة من الأرز وفصا واحدا من الدجاج ثم توقفت وقلت:

- أمي، أريد أن أخبرك بشيء.

نظر إلي الجميع في صمت واهتمام

- لقد فقدت جنيني.
- ماذا؟
- قلت لكِ يا أماه؛ أنني فقدت جنيني**!**
- وهل هذا أمر أفرح له عندما تخبرينني أنك انتقمت من زوجك ونسيتِ أنك أغضبتِ ربك؟**!** حرام عليك يا بنتي.

وأخذت تبكي من جديد فاستدركت قائلة:

- يا أمي، حاشى أن أغضب ربي، وحاشى أن أسقط فلذة كبدي و قطعة من روحي، إنه أمر الله، كأنه أبى أن يأتي الى هذه الدنيا وهمومها؛ كنت أحلم أن أراه يترعرع فأربيه أحسن تربية لكن الله أراد غير ذلك فالحمدلله على ما أعطى وعلى ما أخذ.

طأطأ الجميع رؤوسهم وليس لهم الا القبول بقضاء الله. حكيت لهم ما حدث معي وما فعله العم عبده معي فقال أبي:

- سأتصل به غدًا وأشكره، انه رجل شهم قل نظيره في زماننا هذا..

بعدها طلبت منهم أن أبقى وحدي لأستريح، فانصرفوا وبقيت أبث حزني إلى الله وأسأله أن يبدلني خيرًا عما ضاع مني، كنت أفكر وأدعو ودمعتي تتدحرج على خدي بملوحتها وجسدي يتراخى شيئا فشيئا حتى غلبني النعاس ونمت.

***

بعد عودته الى الفيلا ليلًا، جلس علاء في صالة الضيوف وهو يفكر كيف يلتقي بجنيته من جديد، طل من النافذة وهو ينظر الى السماء متسائلًا كيف قال العم عبده أنها ابنة أخته ثم عرفته لأبيها! لا بد أن هناك شيء ما غير واضح، بعد دقائق طرقت سعاد الباب وأحضرت له العشاء.

- شكرًا لك يا عمة، أين مازن وماجد؟
- بعد تناولهم العشاء قالوا أنهم ذاهبون الى المدينة.
- أها، شكرًا.

***

في صاله المنزل جلس الأب يحادث زوجته:

- لا تكثري معها الحديث، تعلمين ما جرى لها وذلك قد يؤثر على نفسيتها كثيرا، ارحميها قليلًا بصمتك.
- وهل تراني عديمة الرحمة، أتغار مني حتى في الحديث مع بنتي؟ سامحك الله!
- أمهليها حتى ترتاح.

بعد العشاء، جلس علاء يقرأ كتاب أدهم الشرقاوي "نبض" وهو يرتشف الشاي ورائحة النعناع تتبخر منه، توقف عند هذه الكلمات وهو يتخيل إيمان (أنا أريد أن أعيشك لا أن أتذكرك.... أن أتغزل بك لا أن أرثيك أن أنظر في عينيك فأثمل ولا يكون عندي متسع لأكتب، أحب إلى من كتاباتي كلها، وإن اسمي في بطاقتك الشخصية أجمل من اسمي على غلاف كتاب فيه رثاؤك!

ما كان أحد ليختار أن يفقد أحبابه ليكتب أدبه، صخر كان عند الخنساء أغلى من كل شعرها، وهى لم تكن تكتبه وإنما كانت تبكيه شعرًا، فنحن نبكي بالوسيلة التي تكشف أعمق نقطة في جراحنا!

وكان توبة بن الحمير أغلى عند الأخيلية من كل شعرها، ولو كان بإمكانها أن تختار بين حياته وشعرها، لاختارت حياته دون تردد.

ولم يكن المجنون سعيدًا أن ليلى العامرية قد زفت لغيره فخسرها، وربح الشعر! ولكن عندما ركب أبوها رأسه ورد كل شفاعات الذين جاؤوا مستشفعين له عنده لم يبق له إلا الشعر، كتاب خيبة كبير، يتعذب بها وحده، و يتلذذ بها الناس.

لو كان الشعر يعنيه أكثر مما تعنيه ليلى ما ذهب يوماً إلى مضافة الرجال حيث زوجها وقال له: "بدينك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها؟ وهل رفت عليك قرون ليلى

رفيف الأقحوان على نداها؟

فقال له زوجها: "بما أنك استحلفتني بديني، اللهم قد فعلت"!

فقبض قيس على الجمر وخرج مغشياً عليه!)

إلى هنا توقف علاء عن القراءة وأغلق الكتاب وهو يتمنى أن لا يحدث معه مثل ما حدث مع مجنون ليلى.

*****

عاد مازن وماجد الى البيت عند منصف الليل، كان علاء لا يزال يقرأ.

- كل هذا التأخير؟
- نعم، شاركنا في مباراة لكرة القدم تقام ليلا، خسرنا ثلاثة واحد.
- لو كنت معكم لما خسرتم
- ههههه نعم، كنا سنفوز كما فزت أنت في الدورة الرمضانية عندما سجلت هدفًا في مرماك..
- رأيتك مساء اليوم تخرج من المزرعة، إلى أين؟
- أوصلت عم عبده واحدى قريباته الى موقف السيارات.

ضحك ماجد:

- اشتغلت سائقا إذن هههه.
- الأحسن أن أذهب الى النوم بدلًا من تهكمكم، أعرفكم يا مجانين.

أغلق كتابه وانصرف الى سريره مباشرة وهم يضحكون..

***

مع مرور الأيام وفى ليلة مع ارتفاع أذان الفجر من المسجد المجاور لبيتنا، توضأ أبي وجهز نفسه و خرج الى المسجد.. جلس وهو يقرأ القرآن انتظارا لإقامة الصلاة، مر بالآية.. "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاءو فإن الله غفور رحيم(226) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم (227)والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن ارادوا إصلاحآ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

(228)الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مماءاتيتموهن شيئا إلا أن يخافآ ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (229)."

بعد فراغه من الصلاة عاد الى البيت مهمومًا بما آل إليه حالي؛ فأنا لم أتجاوز الثانية والعشرين بعد، والعودة الى زوجي قد استحالت بعدما رأى بأم عينه خيانته ومن جهة أخرى لم يستسغ أمر طلاقي وكأنه نهاية الحياة.

في تلك الأثناء، قمت وتوضأت واعتدلت على سجادتي أصلي، وقفت بكل خشوع أناجي ربي أن يفرج عني ويبدلني خيرًا.. فالانفصال قد يكون حلًا ولكنه يترك في النفس فراغًا رهيبًا، وكسرًا لا يجبره الا خالق النفس.. حالة تعرفها الكثيرات أمثالي ممن تعرضن الى الإيذاء النفسي أو العنف الجسدي من أزواجهن فمنهن من تطلقت ومنهن من تحملت وضحت من أجل أطفالها أو لم تجد ملجأ غير بيت الزوج، وكلا الأمرين مر.

دعوت الله بإخلاص وحرقة حتى دمعت عيناي، ولكني كنت موقنة بالإجابة من الله الذي لا يعجزه شيء.

فرغت من الصلاة، وسمعت أبي يسترسل في ورده الصباحي من التسبيح والتهليل والاستغفار.. فدخلت عليه وهو في الصالة:

- صباح الخير بابا.
- صباح النور عزيزتي كيف حالك؟
- الحمد لله.
- أريد سماع رأيك فيما يخص موضوع الطلاق يا بنتي،فلا أود أن أجبرك على شيء، الكلمة الأخيرة لك.

- خلاص يا أبي، لا أطيق العيش معه لقد كرّهني في كل شيء.
- إذن اليوم سينتهي كل شيء..
- حسنًا، بابا سأحضر لك الفطور.

بعد دقائق، عدت بصينية الفطور تتصاعد منها رائحة القهوة المنعشة..وهاهي أمي تطل علينا وقد عصبت رأسها بطرحة ملفوفة وكأنها تبكي مفقودًا.

- أعندكم رغبة للطعام؟
- وما الذي سيفقدنا شهيتنا عن الأكل؟
- وهل طلاق ابنتك أمر هين؟

فتدخلت وقلت لها:

- ماذا بك يا أمي، هل أنا أول واحدة تطلق! وهل أنا من تسببت في خراب بيتي؟

وضعت ما بيدي وانصرفت الى غرفتي وإذا بأبي أسمعه يرد عليها:

- ماذا دهاك يا امرأة، ألم تري بأم عينيك خيانته ولا زلتِ تحدثينها بهذه الطريقة؟!
- نعم ولكنه جاء نادمًا على فعلته ويمكن أن نعطيه فرصة لعل الله يهديه.
- هذا هو الجنون بعينه، إنه رجل لن ينصلح أمره فهو لم يتق الله في زوجته ولن يرى خيرًا في حياته، لم يحافظ على شرفها فلا يستحقها، وعلى كل حال الأمر بيدها وهي حرة.

***

على مائدة الأفطار في فيلا مزرعة المهندس مازن، جلس الأصدقاء الثلاث يتناولون افطارهم، بادر مازن بالحديث:

- علينا الانتهاء من الفحص اليوم والعودة الى المدينة..

رد ماجد موافقًا وهي يمضغ طعامه:

- نعم، اليوم آخر يوم إن شاء الله.

كان علاء سارحا بخياله يفكر في ليلاه وكيف اللحاق بها..فاجأه ماجد ومرر يده أمام:

- مابك ياعلاء، أين وصلت؟
- اها، ماذا قلت، لم أنتبه لحديثكم.

رد مازن وابتسامته على وجهه:

- واضح أن حياة الريف أذهبت تركيزك.
- لا بل هي من أذهبت عقلي وقلبي وكل شيء في.
- أوو، من تكون هي، أخبرنا ألسنا أصدقاءك؟
- إنها الجنية..
- من؟!

ضحك الثنائي في نفس الوقت وقال ماجد:

- أيعقل أن تحب جنية؟
- وأين تقيمان حفل زفافكما، تحت الأرض ههه؟
- تستهزؤون! أين الخلل لما أخبركم عن شعوري.
- لأن كلامك غير مقنع البتة.
- أسمعوا، تذكرون لما أخبرتكم عن وجود فتاة؟
- نعم

- تلك كانت حقيقة وليس جنية.
- كيف؟
- اسمها إيمان،وهي قريبة العم عبده ولما رحلت أمس أنا الذي أوصلتها الى الموقف معه.
- يا سلام، وأخفيت عنا كل هذا!
- ذهبت لرؤيتها عن قرب ولكنه كان لقاء سريعًا فلم أتعرف عليها جيدًا. الشيء الثابت هو أنني لم أعد مشغولًا إلا بها وطيفها يتبعني في كل مكان..
- ههه وقعت في الحب يا رجل.
- كل ما أرغب فيه الآن هو أن أراها، حقًا لقد أحدثت في تغييرًا كبيرًا في حياتي.
- ماعليك الا الذهاب إليها.
- ليتني أعرف عنوانها.
- نحن معك، سنساعدك على إيجادها، دون عندك يا مازن، البحث عن الجنية

رد مازن بجدية مفتعلة:

- أبشر، لقد تم تسجيل الخطة ههه وأنا متأكد أنك ستجدها، هيا بنا الآن لقد تأخرنا على العمل.

انتفضوا من أماكنهم، وتوجهوا لمباشرة العمل. في طريقهم، قابلتهم نور بأناقتها ورشاقتها وهي ذاهبة الى الجامعة، ألقت عليهم تحية الصباح وواصلت طريقها تاركة وراءها عبق عطرها الفرنسي، فلم يتمالك ماجد نفسه وأتبعها بنظراته الحالمة حتى استدارت رقبته عن آخرها.. نظر اليه علاء وهو يهمس لمازن:

- أنظر.. أنظر تكاد عيناه تخرج من مكانهما ههه.

تنهد مازن:

- أممم يبدو أنني سأبقى وحيدًا بينكم فكلكم ارتأى له جنية

انتبه ماجد لحديثهما:

- ماعندي مشكلة، انه مجرد اعجاب بها فقط، حقا أعجبتني.
- مجرد إعجاب ليس إل.
- الإعجاب أول مراحل الحب.

تحدث مازن بلهجة محذرة:

- لا تنس أنها بنت العامل.
- تعرفني جيدًا.. لا تهمني الطبقات الاجتماعية.
- نعم أعرفك وأعرف عقلية أعمامك وعماتك فهما لا يعترفان الا ببنت فلان وعلان.

أكد علاء على كلامه:

- يبدو أنك في مأزق يا صديقي.
- قلت لكم لا يهمني فأنا أنظر الى شخصية الانسان وما يحمل من أفكار وليس المركز الاجتماعي، ثم هذه حياتي الخاصة وأنا من يقرر مصيري وليس والداي.
- فقط اثبت على موقفك وليوفقك الله.

ألقوا التحية على العم وردها هذا الأخير.

- كيف حال العمل اليوم؟
- كل شيء على ما يرام وقد قارب العمال على الانتهاء من هذه الطلبية.

- جميل، اليوم أيضا تنتهي معاينتنا ويبقى عمل المختبر لوضع التقرير النهائي والموافقة على التصدير.
- بالتوفيق إن شاء الله.
- شكرًا، علينا إنهاء المهمة بعد اذنك
- تفضلوا.

اقترب علاء من العم وقال:

- كيف حالك اليوم؟
- بخير.

شعر العم أنه يريد الحديث عن إيمان.

- وكيف حال إيمان؟
- حسب علمي فهي بخير.
- ألم تتصل بك؟
- لا، لم تتصل، ولكن لماذا تسأل عنها؟
- لا شيء، أردت فقط الاطمئنان عليها، كما أردت معرفة الحقيقة.
- الحقيقة!
- نعم، لم أفهم لماذا قلت انها ابنة أختك وعند اللقاء مع والدها عرفتك إليه!

صمت العم قليلًا وقال:

- هذه بنت مسكينة اعترتها ظروف قاسية وكنت سببًا في مساعدتها.
- ظروف!، هلا أوضحت لي الأمر أكثر، لا تقلق فلن أخبر أحدا، ولعلمك فأنا مهتم بأمرها.

- لقد تعرضت لمشاكل كثيرة، والأفضل أن تبتعد عنها يا بني.
- ولم تقول هذا؟
- لأنها متزوجة..

كان وقع الكلمة في نفس علاء كبيرا لما سمعه يقول متزوجة..لم يزد شيئا بل انصرف مباشرة وكأن سحابة سوداء تغشته فلم يعد يرى مرمى خطواته الى أي جهة اتجهت...

*****

ساقته قدماه وسط الأشجار لا يعرف إلى أين ولماذا هو ذاهب، لم ينتبه حتى لصديقه وهو يحدثه، مرت عليه لحظات أصيب بالصمم.

وجه مازن كلامه له صديقه علاء:

- علاء! إي، أنت يا رجل! مابه هذا، يمر أمامنا وكأننا غير موجودين!

لك يسمع ما قيل، رد ماجد على مازن:

- غريب أمره، منذ جاء الى المزرعة تغير كليا، هذا الذي عهدناه مرحا يحب المزاح انقلب الى منطوٍ على نفسه و أصبح يحب الانعزال..

اقترب علاء من بئر دائري مملوء بالماء، ملأ الدلو المعلق هناك وغطس وجهه فيه مرتين لعله يفيق من غفوته، وأخذ يلملم شعره بيده الى الوراء ثم على بعد مترين جلس تحت شجرة التوت يفكر..

مابال حظي يتعثر عند كل شيء أرغب فيه؟ هل يهوى قلبي كل شيء راحل؟ أم يحب أنه تعذيب روحي؟ كلما تعلقت بشيء لا يلبث أن يختفي، كأمي وأبي رحمهما الله، والآن دورها هي! أتعبتني السنون، وأتعبتني يا قلبي، لم تبق في قطعة سليمة فما أنا الا بقايا روح متعبة! دعني يا قلبي بسلام أرجوك كفى! حتى عيناي لم تعد تدمع..

التحق به ماجد وجلس بجانبه:

- علاء، أخبرني مابك، ناديناك ألم تسمعنا؟

بصوت هادىء أجابه:

- حقاً، اعذرني لم أسمع شيئًا.

- لكن ماذا جرى لك، تبدو حزينًا.
- كيف لا أحزن ولا حظ لي في شيء، كيف؟
- أفصح، ماذا حصل؟
- متزوجة.
- عفوًا، من تقصد؟
- إيمان متزوجة.
- وكيف لك أن تحب امرأة متزوجة، هل جننت؟
- لا، حاشى أن أفعل هذا، ولكن لم أكن أعرف أنها مرتبطة أصلًا، منذ قليل فقط أخبرني العم وطالبني بالإبتعاد عنها.
- طبعًا هذا عين الصواب،ابتعد واحمد الله أنك في أول الطريق.
- نعم ولكن قلبي تعلق بها أيما تعلق، وصورتها تأبى أن تختفي من مخيلتي.
- هكذا يكون الأمر في الأول، يصعب عليك تقبل فكرة ذهابها ومع الوقت تعتاد على ذلك وتنساها تدريجيًا.
- إن شاء الله.
- هيا توكل على الله، يجب علينا إنهاء عملنا اليوم ونرحل من هنا.

اقترب مازن من عبده حاملًا صندوق به بعض حبات البرتقال:

- بعض الثمار مريضة ويظهر ذلك من تلك البقع البنية على القشرة.. لنأخذ صندوق البرتقال ذاك فقد جمعت كل الحبات المشبوهة لتفحص في المخبر.
- اليوم ينهي العمال شغلهم هنا، ولهم أن يأخذوا رواتبهم قبل أن تغادر يا مازن.
- نعم، أعطني كشف أسمائهم وعدد أيامهم وفي نهاية اليوم سنوفيهم حقوقهم.
- كل شيء جاهز يا بشمهندس.

***

مضت الأيام ثقيلة على محمد وكل أهله يعاتبونه على خراب بيته وعدم القدرة على الحفاظ عليه.

- إنهم هم من طلبوا الطلاق فلا حقوق لهم عندك.

قالت له أخته.

وأضافت أمه:

- لو أنا منك حتى جهازها أغض الطرف عنه.
- أووو، لا أريد أن يتدخل أحد منكم في أموري، هذا أمر يخصني أنا فاتركوني وشأني..

بعد وقت قصير، ذهب رفقة أبيه والمأذون ورجلين الى بيت صهره، لإتمام عملية الطلاق، نعم جاؤوا الى بيتنا وعند قدومهم سألني أبي هل هذا قراري الأخير فأجبته بنعم.

فبينما هم في صالة الضيوف، جلست في غرفتي على السرير أفرك أصابعي وقد أخذ التوتر مني كل مأخذ، وإذا بأمي جاءتني تقول:

- يا بنتي لم يستطع أن يرفع رأسه من الخجل والندم، فالحسرة بادية على وجهه..ألا سامحتِه يا عزيزتي؟ ولتبدؤوا حياتكم من جديد!
- لا يا أمي، يكفيني ما رأيت منه هذا قراري النهائي.

بعدها بقليل دخل عندي أبي ومعه المأذون يريد الإصلاح بيننا فبدأ يتكلم أن الطلاق هو أبغض حلال عند الله والصلح خير ولعل الله يهدي قلبه و.. و.. و.. فأشرت بيدي وقلت له:

- لا أريده خلاص.
- هل هذا قرارك الحر أم هناك من ضغط عليك؟

- لا،هذه محض إرادتي يا شيخ.
- عوض الله خيرا، شكرًا.

قالها الشيخ وهو ينصرف.

ما إن خرجوا وغلقوا الباب وراءهم، لم أتمالك نفسي ودخلت في نوبة بكاء لم أعرف أمن الحزن أم من الفرح، إحساس غريب طلع من صدري مع زفرات أنفاسي وكبت دفين أحسسته يتدفق الى الخارج مع دموعي ويذوب مع ملوحتها..بعد مهلة قصيرة وقد هدأت، طُلب مني حضور المجلس لأتلقى الطلاق من فيه مباشرة.. دخلت ولم أرفع عيني كي لا تُرى دموعي..

وبأمر من المأذون قال متلعثما أنت طالق ثلاث مرات، واتضح من صوته انه كان يبكي أو يتباكى لست أدري..حينها شعرت بدوران واختناق وكأن الوقت توقف ولا يريد الاستمرار..

هيا يا ابنتي، قال لي أبي وهو يمسك بذراعي، فخرجت معه الى غرفتي و أغلقت الباب وطلبت عدم الازعاج من الجميع.. اتفق أبي مع طليقي على يوم يذهب فيه ويأتي بجهازي وانصرف الجميع.

مع نهاية اليوم اتصل بي العم عبده:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام، كيف أحوالك يا عم وكيف هي نور؟
- الحمد لله كل شيء تمام، وأنتِ مابه صوتك وكأنك تبكي!
- نعم يا عم، لقد تطلقت اليوم.
- يا الله، لا تحزني يا بنتي سيعوضك الله خيرًا منه.

ولما سمعته بنته نور طلبت منه الهاتف.

- إيمان، حبيبتي لقد اشتقت إليك، اسمعي، لا تحزني لأمر الطلاق، هو لا يستحقك وأنت عليك ألا تبخسي نفسك حقها، ارفعي رأسك وسيعوضك الله خيرًا.
- نعم حبيبتي نور، حزنت و أنا أرى حياتي تذهب هباء وما زلت في مقتبل العمر.
- وهذا بيت القصيد، أنت قلتِ في مقتبل العمر يعني أن الحياة لا تزال أمامك، من الخطأ نتعلم، ومالا يقتلك يقويك، طاردي أحلامك وستنجحين..المهم عليك بزيارتنا فلقد تركتِ لنا فراغًا هائلًا.
- إن شاء الله، شكرًا لك..

***

مع حلول الظلام، قدم علاء يجمع أغراضه للرحيل، وفجأة ألقى عليه العم التحية و قال:

- اها ستغادرنا يا بشمهندس؟
- أكيد يا عم علينا العودة الى المكتب
- أعانك الله، ولكن لا تنسى أن تزورنا من حين لآخر.
- إن شاء الله.
- تبدو حزينًا يا بشمهندس.
- لا،مجرد إرهاق العمل فقط.
- أمم هل هو الإرهاق أم ما أخبرتك به أزعجك !
- لنقل كلاهما
- اسمع يا علاء، لدي مفاجأة لك، البنت التي سألت عنها، بالأمس كانت متزوجة واليوم ليست كذلك.
- ماذا، كيف؟

- لقد تطلقت اليوم.

ترك كل ما كان بيده وقال:

- أنت تلعب معي أم ماذا؟
- لا والله، هذا ما حدث، كانت هناك مشاكل عالقة بينهما أدت الى انفصالهما اليوم..

في تلك اللحظة انقلب وجه علاء ضاحكًا مستبشرًا وكأنه ليس هو الذي كان قبل دقائق، خبر أفرحه كثيرا فلم يجد بيده إلا من أن يعانق العم من غير أن ينطق ببنت شفة.

****

تحت ضوء القمر وسطوع النجوم، غادرت المجموعة المزرعة بقيادة مازن، كان توديع العم والعمة سعاد أخويًا وحارًا، ودعوا هدوء الريف ونقاء هوائه الى زحمة المدينة وتلوث هوائها..

اعتدل علاء في المقعد الخلفي وبين يديه أفضل جلسائه، كتابه الذي غاص بفكره بين أسطره وهو يبتسم وكأنه يحدث محبوبته بما يقرأ.. راها ترتسم على الصفحات و تترنح بمشيتها الموزونة بين الكلمات، يضحك معها عند كل كلمة حب أو تودد، كان يعتقد أن كل ما كُتب كُتب لإيمان ومن أجل إيمان.. أحيانًا يحدث قلبه فيقول: *"آه ياقلبي، عدت تنبض من جديد، وتشتاق من جديد، هاهو بصيص الأمل يلوح لك مرة أخرى، بالأمس كنت تلامس الحضيض واليوم تغمرك السعادة وأنت في القمة..أبدا لا يمكنني أن أسيطر عليك ولعلك سميت قلبا لتقلب أحوالك..*" هكذا يعيش علاء نشوة الحب من النظرة الأولى..بينما هو منهمك في القراءة ونسج الأحلام، يراقبه مازن من خلال المرآة ويبتسم مع ماجد ثم يقول له:

- الأمر صعب يا ماجد، يجب علينا أن نتصرف والا ضاع منا الرجل.
- نعم، فالأمر مستعجل لنفعل شيئًا هههه.

انتبه لهما علاء وهو يضحك:

- ماذا تقولان؟ تتفقان علي اه، تبت أيديكما، قريبًا تدور الدوائر، ويقع كلاكما في الحب وسنرى ماذا تفعلان هههه..

بعد ساعة ونصف، وصلوا الى المدينة، وأضواء المحلات ولافتات الاشهار تتراقص من كل جانب، أصوات محركات السيارات وتكدس المرور..

- كنا في سعة الريف وحقوله وجئنا الى سجن المدينة

قال ماجد.

- طابور السيارات شبه متوقف، لو كنا مشاة على الأقدام لوصلنا..

رد مازن وهو يضرب مقود السيارة برفق.

***

أمضيت ليلتي وانا أفكر فيما يخبؤه لي الغد، وما ينتظرني في المستقبل، كانت تنتابني بين الفينة والأخرى أفكار يائسة تجعلني أشعر باختناق في التنفس وكأن الهواء لا يكفيني، تجتاحني نوبات حرارة لا أتحمل إثرها كثرة اللباس رغم برودة الجو..

أحسست أن غرفتي ينقصها الأكسجين، فوقفت أطل من النافذة أستنشق هواء يملأ رئتي ويجعل الحياة تدب في عروقي من جديد..نظرت الى السماء الملبدة بالسحب..كم أسعدني رؤيتها وهي تجري وتتجمع وتزيد قتامة، كنت أرى نفسي أحلق فوقها وأتأرجح فأحسست بطمأنينة ولو ظرفية..كنت أطوف بين تلك السحب أبحث عن شيء دون معرفة ماهيته ولا صفته أو شكله.

في الشارع المقابل، كان رتل من الشباب يجلسون في المقهى، الدكاكين المحاذية لها تعرض بضائعها، صوت جارنا في العمارة الملاصقة لعمارتنا يعلو وهو يتخاصم مع زوجته.. بعد دقائق، بدأ رذاذ المطر يسقط ويتزايد بالتدريج، هرول الناس إلى داخل المحلات للإختباء من المطر، والذين كانوا واقفين على الشرفات دخلوا، النساء تدخلن الملابس المنشورة هناك بخفة..لكنني بقيت أطل من النافذة وأستمتع بالأمطار وهي تتهاطل، وكأنها تواسيني وتقول لا تيئسي فالخير قادم.. مددت ذراعي ألتقط بعض القطرات وأتذوقها، بالفعل كم هي حلوة وكم أشعرتني براحة نفسية فأبتسم لذلك المشهد الممتع.. لما رآني أبي على تلك الحالة ناداني وقال:

- لا يا إيمان أغلقي النافذة والا ستصيبك نزلة برد، أسرعي!

أغلقت النافذة، وإذا بي قد تبللت ملابسي من الأمام وكان علي أن أغيرها تحفظًا من المرض.

- لا تقلق يا أبي، تعرف أنني أعشق المطر منذ الصغر ههه.

قبلت جبينه قلت له:

- أشعر بانكسارك وحزنك علي يا أبي، لا تخشى شيئا فالله موجود وسيتولى أمري.

لم يقل شيئًا، ودخل غرفته والسبحة في يده، أجزم أنه يبكيني، فإن أحجمت عيناه عن البكاء فقلبه كان يتمزق لحالي، آه يا أبي، أين كانت حنيتك هذه من قبل؟! كم كنت بحاجة إليها.. أما أمي كعادتها عندما تمطر لا تهدأ حتى تتأكد من أن كل النوافذ مغلقة خشية دخول المطر إلى البيت..

***

أغلق مازن زجاج السيارة وشغل الموسيقى على أنغام فيروز..يا سهر الليالي، يا حلو على بالي، غنى اه غنى اه غنى على الطرقات. وأخذ الثلاثة يرددون وراءها كل مقطع.. انفسح الطريق وها هم يصلون الى بيت علاء ويقررون المبيت عنده.

***

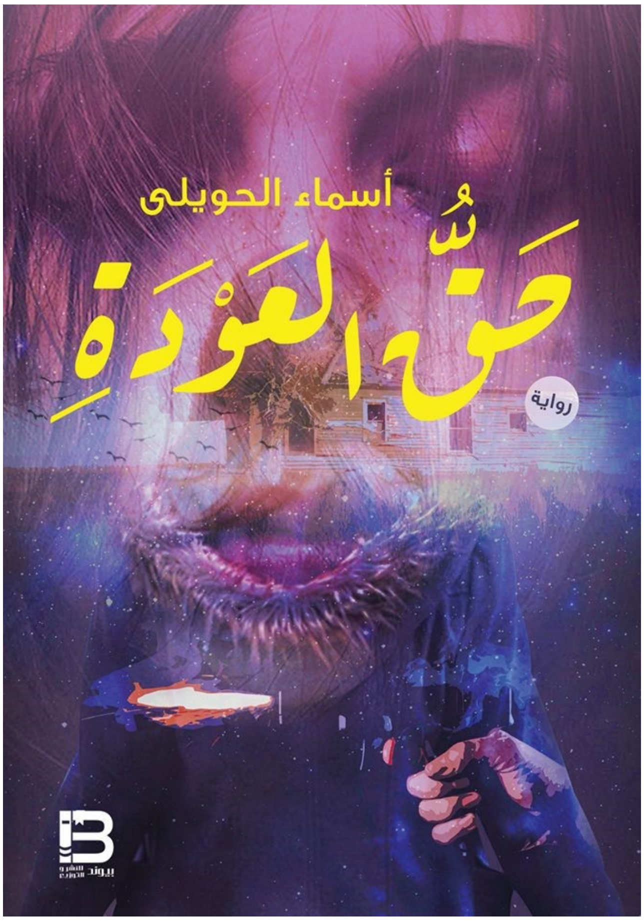
في الصباح، كعادتي أعددت الفطور لأبي بعدما عاد من المسجد وقرأ ورده من القرآن. بعدما جهز نفسه، ذهب الى عمله في مكتب البريد حيث يعمل موظفًا هناك.

مرت الأيام علي بنفس الروتين اليومي، فقررت أن أبحث عما أكسر به الملل، فكرت في العمل إلا أن أبي رفض أن أعمل في أي مكان به رجال خشية أن تطالني الألسن بالسوء.

طبعًا هي نظرة المجتمع كله الى المطلقة وليست نظرة أبي فحسب، وكأن المطلقة ارتكبت جرمًا لا يغتفر، فهي لا ينبغي أن تخرج وحدها، ولا تعمل، ولا تزور الجارة وقائمة اللآت طويلة.

فبدل أن تنعتق المطلقة من جبروت الزوج الظالم وتنال حريتها، تدخل الى سجن الأهل وسجن المجتمع بالقيل والقال، إن مرت في الطريق يشار إليها، ومن الناس من يقول لها عوضك الله أو هكذا أفضل لكِ، المهم الكل يحشر أنفه في خصوصياتها..أما عن حالتي فلقد انطويت على نفسي وانعزلت، أصبحت لا أحب الخروج أو الجلوس مع العائلة إلا لضرورة الأكل أو الاستحمام، لم أعد أحبذ الكلام مع الغير وإن تكلمت أختصر، وبالطبع لاحظ أبي كل هذا التغيير

*****



- الحمد لله، لقد تمت الموافقة على أوراق تصدير الطلبية.

قال مازن..

- الحمد لله على الأقل لم يذهب تعبنا جُفاءً.

رد علاء.

- وأين ماجد ألم يأت اليوم؟
- لا لم أره.

***

من أمام بوابة الجامعة، وقف ماجد يراقب الوافدين إليها من الطلبة وهو يتطلع باهتمام إلى رؤية نور.

من حسن حظه، لم يطل الإنتظار حتى لاحت له من هناك وهي تنزل من سيارة أجرة بكل أناقتها الفتانة وشعرها الذي أسدلته وراءها وكأنه الحرير يتدلى على ظهرها.. ما أن دفعت أجرة السيارة والتفتت، حتى وجدته أمامها ممشوقا بقامته الطويلة يبتسم وهو يمسك أطراف بدلته الزرقاء بيديه، وربطة عنقه تتراقص على صدره يمنة ويسرة كأنها تعبر على فرحة اللقاء.

- يا الله، من هنا، أأنت ماجد حقا، ماذا تفعل هنا، جئت تعيد الدراسة من جديد هه؟
- هه لو تقبلوني سآتي بكل فرح وسرور.. أنا أنتظر أحد أصحابي تواعدنا أن نلتقي هنا، ومن محاسن الصدف إلتقيك، وبالمناسبة تبدين رائعة.
- أممم شكرًا..

قالت نور مبتسمة وقد احمرت وجنتاها قليلا، كيف حالك وكيف هم الآخرون، لقد انقطعت أخباركم عنا منذ زيارتكم تلك.

- صدقيني نحن نذكركم دائما وعملنا هناك كان رائعًا والأروع معرفتكم أنتم من تسكنون هناك ولولا ضغط الشغل لزرناكم دون انقطاع..
- على الرحب والسعة.
- أنظري هناك يا نور، إنها قاعة شاي، ألا تسمحين لي أن أعزمك على كوب شاي إن لم تكن عندك محاضرات الآن؟.

ألقت نظرة على ساعتها الذهبية ثم قالت :

- حسنًا، لدي ساعة فراغ الآن.
- ياللحظ الجميل، تفضلي.

أخذا مجلسًا مريحًا داخل القاعة، إذ جلسا في طاولة بجانب الجدار الزجاجي المطل على تقاطع ثلاثة شوارع، حقًا كان المنظر من هناك رائعًا، طلب ماجد شايًا ملكيًا تزكو منه رائحة النعناع مع صينية نحاسية تملؤها المكسرات من جوز هندي ولوز وكاجو..

- كيف حال الجميع؟

قالت نور.

- مادامو أصحاء، فهم بخير ونعمة، والعم عبده كيف هو يا ترى؟
- الحمد لله هو بخير.
- وصديقتك كيف هي؟
- صديقتي؟ من تقصد؟
- صديقتك إيمان ومن غيرها!

- آه نسيت، وهل تعرفها حتى تسأل عنها؟
- أقول لك الحقيقة، تعرفين علاء الذي كان معنا في المزرعة، إنه بات يحبها حبًا جنونيًا وهو بصدد البحث عن طريقة توصله إليها بأي ثمن، وأنا أود مساعدته من خلالك.

هزت نور رأسها وهي تبتسم:

- أها هكذا إذن.

صمتت نور هنيهة، وكأنها تلقت نفس الفكرة التي كانت تدور في مخيلتها وهي تتمنى كذلك أن تساعد إيمان في إيجاد من يعوضها عن الصدمة العاطفية التي وقعت فيها مؤخرًا غصبًا عنها وهي الطلاق.

فكرت نور أن علاء ذلك الشاب الوسيم الذي عرفته في المزرعة رجل طيب وخلوق قد يتناسب مع طيبة إيمان، لكنها لمحت من طرف حفي نظرات ماجد لها:

- ماجد، لا تقل لي جئت لهذا الغرض فقط.
- هذا الغرض الأول ووأعتقد أنه مهم، أما الغرض الأهم، وأصدقك القول، هو رؤيتك أنتِ والحديث معكِ أنتِ، وما أدراك ما أنتِ.

هنا غمرها الحياء والإعجاب في نفس الوقت، فما كان لها إلا أن تضع كفها على ثغرها وتضحك لما تركته هته الكلمات من أثر على نفسيتها وأنوثتها.. لحظات أحست فيها كأنها فراشة خفيفة علقت بسحابة بيضاء وبالونات وردية على شكل قلب تحلق حولها.. ولتغيرمجرى الحديث، قالت:

- سأتصل بإيمان الآن.

أخرجت هاتفها واتصلت برقم صديقتها:

- ألو نـــور، كيف حالك حبيبتي؟

- أنا بخير عزيزتي، وكيف هي أمورك؟
- الحياة باتت رتيبة مملة يا نور.
- لا، هوني على نفسك، فدوام الحال من المحال، الخير قادم بإذن الله.
- وكيف حال عم عبده؟
- هو بخير ويذكرك دائمًا والله، ويتمنى أن تزورينا بعد أن ترتاحي.
- إن شاء الله عندما تتيسر الأمور.
- حسنًا، سنبقى على تواصل عزيزتي لأن هناك موضوعًا أريد أن أحدثك عنه ولكن ليس الآن.. فهو لا ينفع في الهاتف.
- إن شاء الله، انتبهي لنفسك وبالتوفيق..

انهت المكالمة ووضعت هاتفها على المنضدة أمامها

- ما الأمر؟ أخبريني.

قال ماجد.

- لا تهتم، دع الأمر لي وقل لعلاء يطمئن.
- شكرًا لكِ، هل يمكننا تبادل أرقام الهاتف؟
- أجل.

بعد ذلك قامت وهي تقول:

- عليّ الأنصراف، عندي محاضرة بعد ربع ساعة.

من جهته، ودعها ماجد عند باب ركن الشاي وركب سيارته وانطلق وإذا بعلاء يتصل به:

- أهلًا علاء، كيف حالك ياعاشق؟

- أنا بخير، أين أنت لقد تأخرت عن الدوام مابك؟
- كنت في مهمة سرية، سألحق بك بعد قليل.
- كف عن هذا الغموض والأسرار، هيا أخبرنا.
- لا، ليس بعد أن تدعونا على الغداء أنا ومازن.
- لا يهمك فأنت مدعو من الآن.
- قل لمازن أني كنت أعمل على تنفيذ الخطة التي اتفقنا عليها.
- الخطة! أية خطة يا مخبول؟!

لما سمع مازن نصف المحادثة فهم اللعبة وقال لعلاء:

- قل لماجد أن مازن يشكرك.
- مابكما؟! أتخفيان عني أمرا ما؟

قال علاء.

- أنا قادم وسأخبرك بما يجري لأنك أنت صاحب حصة الأسد في كل هذا.
- حسنًا انتبه للطريق.

وهنا أخبره مازن أنه كان عند نور في الجامعة.

- يا له من محظوظ، ذلك الوغد، يعرف مكان حبيبته ويذهب لزيارتها أما أنا فليس لي إلا تخيل طيفها..
- بصراحة، هو ذهب من أجلك أنت، صديقتها نور هي من ستقودنا الى محبوبتك، سنأخذك عندها وسنرقص لك.
- أنت جاد في حديثك هذا؟!
- أي نعم، وهل تظن أن نرضى لك غير السعادة!

- والله لو تتم الأمور كما يهوى قلبي، فلكم من عندي عشاء في فندق الشيراتون..ألا تعلم أن قلبي يكاد يقفز من بين صدري طربا لما سمعت؟!

بعدما فرغت نور من المحاضرة الأولى، خرجت الى ساحة الجامعة واتصلت بإيمان.

- ألوو حبيبتي هل بالإمكان رؤيتك؟
- أهلًا نور، ماالأمر؟هل أنت بخير؟
- نعم أنا تمام، فقط هناك أمر أود التحدث فيه معك.
- أين أنت؟
- في الجامعة.
- سأستأذن أبي وإن أذن لي سألقاك هناك.
- سأكون في انتظارك..

مباشرة، بادرت أبي بالسؤال هل يمكنني الذهاب، تلكأ في الأول متحججًا بإمكانية قدومها هي وأن البيت بيتها، ولكني عللت طلبي بوجوب رد الجميل لما فعلوه معي لا سيما وهي في حاجة إليّ اليوم، فانبسط في الأخير بل تذكر أن عليه أن يتصل بأبيها يشكره ويدعوه إلى مأدبة عشاء يومًا ما.

فرحت بالترخيص لي بالخروج، وقبلت رأسه ثم خرجت باتجاه الجامعة.. بعد حوالي نصف ساعة نادي، وقبلت رأسه ثم خرجت باتجاه الجامعة.. بعد حوالي نصف ساعة ناديتها الى خارج الجامعة فخرجت مسرعة واحتضنتني بحرارة.

- أوو اشتقت اليك يا نور.
- وانا كذلك فمنذ هربت من عندنا انتهى، نسيتينا وكأنك لم تعرفينا؟!
- ماهذا الجمال يا نور، تبدين رائعة!

- وأنت كذلك الناس يكبرون وأنت العكس، لابد عندك وصفة سحرية للتشبيب.
- أشكرك عزيزتي.
- تعالي، لنجلس هناك في قاعة الشاي، إنها جد هادئة.

دخلنا القاعة واخترنا مكانا منفردا بالزاوية، ومع بداية تجاذبنا للحديث وارتشافنا للقهوة، طلعت علينا فتاة شقراء بيدها مجموعة كتب، من اول وهلة تعرف أنها ميسورة الحال.

- مرحبًا نـــور، أنت هنا؟! كيف حالك؟
- أهلًا مريم أنعمتِ صباحا، متى عدت من السفر؟
- الأمس فقط..

ثم نظرت إليّ وقالت مبتسمة:

- من هذه الأميرة الجميلة؟ هل هي أختك؟
- لا لا، انها صديقتي إيمان، وهذه مريم صديقتي منذ سنوات وتدرس معنا في نفس الدفعة.

سلمت عليها وقلت:

- مرحبًا تشرفت بمعرفتك.

ثم أضافت مريم:

- لكنكما تتشابهان إلى حد كبير.
- ألا يقولون يخلق الله من الشبه أربعين؟

أردفت نور:

- صحيح.

رغم أن نور دعتها لتجلس معنا، اعتذرت مريم لأن لديها ارتباطات أخرى وقالت:

- سنلتقي فيما بعد يا نور إلى اللقاء.
- حسنًا مع السلامة.

***

رن هاتف العم عبده فأجاب:

- ألوو من معي؟
- السلام عليكم عم عبده.
- وعليكم السلام!
- معك والد إيمان.
- أهلًا أهلًا، يا مرحبًا يا مرحبًا كيف حالكم يا عمي.
- والله في نعمة، الحمد لله؛ اتصلت بك لأشكرك على حسن صنيعك مع ابنتي، ربنا يجازيك، سامحني تأخرت عليك لمشاغل الحياة كما تعلم.
- لا لا، لم أفعل الا واجبي تجاه أبنتي هداك الله يا رجل.
- لله يكرمك ويعطيك العافية يا صديقي، والله سأسعد كثيرًا لو تزورنا يومًا برفقة ابنتك التي تذكرها إيمان دائمًا.
- أتشرف بذلك، حياك الله يا طيب يا أصيل، سأفعل بإذن الله عما قريب.
- عما قريب؟! ليس هناك أقرب من الغد، شرفونا وقت الغداء وستفرح ابنتي بكما، وكما تعلم نفسيتها تحتاج الى الترويح.
- طيب يا صديقي كما تشاء توكل على الله فقد ربحتني.

***

- ماالأمر إذن يا نور؟

قالت إيمان.

- أسمعي، حبيبتي، أردت رؤيتك لأتحدث معك في موضوع لا أستطيع أن أتحدث فيه إلا مع بنت مثلي وتعلمين ليس معي إلا أبي.
- أمممم؛ أعتقد أنه موضوع حب وغرام.
- بل يشبهه، من الممكن أن يكون إعجاب فقط، لا أخفيك أن لدي مشاعر في قلبي.
- من أجمل الأحاسيس الحب الصادق الذي لا تغيره الظروف أو الزمن لأن الطرفين المتحابين كليهما يحافظان عليه، وإذا وجد القلب الطاهر فليس هناك تلاعب أو كذب، كم كنت أتمنى أن يبادلني زوجي نفس الإخلاص والوفاء الذي كنت أكنه له ولكنه كان مشغولًا بغيري والحب من جانب واحد لا يفي بالغرض، تبين لي في الأخير أنني كنت أسد له فراغًا جنسيًا لا أكثر، لا حب ولا عواطف ولا قرب ولا ألفة...
- خلاص يا عزيزتي إيمان أعلم أنك تحملين الكثير في صدرك.
- المهم العوض على الله، هذه هي الدنيا فما سميت كذلك الا لدناءتها، أخبريني عنك الآن، ما الجديد؟
- أنا معجبة بشاب.
- جميل، هنا بالجامعة؟
- لا؛ هل تعرفين المهندس علاء الذي أوصلك مع أبي؟
- نعم أعرفه، أهو هذا؟
- لا بل صديقه ماجد، جاء عندي هنا بالأمس، واكتفى بالتلميح بحبه وإعجابه دون تصريح، ولكن من خلال كلامه وتصرفاته واهتمامه كان واضحًا أنني في طليعة تفكيره...

وهنا اتصلت والدتي تطمئن علي وتطلب مني ألا أتأخر أكثر، فأخبرتها أنني عند نور وأبي يعلم بهذا ولكنها ألحت علي بالعودة حالًا، لاحظت نور تغير ملامحي ونبرة صوتي فسألت قلقة.

- هل كل شيء تمام؟
- اتصلت أمي فهي لا تزال تعاملني كأنني لا زلت صغيرة وأحيانًا تحرجني.
- لا تلوميها يا عزيزتي، واحمدي الله أن لك أمًا تزعجك وتغضب منك، فأنا أمي تركتني وأنا في الثالثة من عمري ولا أذكر شكلها حتى..
- نعم آسفة لحالتك والله ولكن الله عوضك بأب حنون فهو حقًا رجل عظيم.
- شكرًا لك، نعم أبي هو كل حياتي حتى أنه ضحى بسعادته وراحته فلم يتزوج بعد أمي..
- لنرجع إلى موضوعك أو موضوع حبك.
- بل الأمر يتعلق بك هذه المرة، أسمعي حبيبتي، هناك شخص ليس معجب بك فحسب بل متيم بك ويريد التقرب منك..
- ماذا، مني أنا؟ لا فأنا بعد تجربتي لم أعد أثق في الرجال عزيزتي..
- لا تتسرعي قبل معرفة الشخص فهو وسيم وخلوق وقد رأيتِه بنفسك.
- من هو؟
- سأقول لكِ وفكري جيدًا وقد لا تندمي، لأنه يحبك حد الجنون يقول زملاؤه ولو أعطيته فرصة سيسعد ويسعدك معه، هو وحيد ويتيم.
- من هو؟ تكلمي!
- إنه علاء.
- علاء! الذي قال عني جنية!
- نعم هو يحبك وأنت غادرت المزرعة قبل أن يتمكن من مصارحتك بمشاعره نحوك.

- عليك أن تعرفي، يا نور أنني في نقاهة عاطفية الآن، تأذيت نفسيًا كثيرًا، وبالكاد أخرج من تجربة طلاق، فلست مستعدة لأي ارتباط..
- أعلم هذا ولكن على الأقل لا تكسري قلبه، قابليه وضعيه في الميزان وبعدها احكمي وقرري.
- المهم انتبهي لنفسك يا نور، وأتمنى لك قصة حب جميلة تثمر لك عيالًا كثيرًا، عليّ الأنصراف قبل أن تتصل أمي من جديد..
- حسنًا، لكن عديني بالتفكير في الموضوع لعل الله ييسر أمركما ويبدل حالك إلى أحسن حال باذن الله.
- الحياة علمتنا الكثير وأصبحنا لا نثق في أحد ولا نعرف الصالح من الطالح لأن المظاهر خداعة، ومن يلدغ من أفعى سيخاف من الحبل، ولا ينبغي أن نلدغ من جحر مرتين..
- مهما يكن يا إيمان، علينا أن نتفاءل خيرا لنجده، وأن نبقي على الأمل داخلنا لكي نستطيع الحياة، والنكبات تعلمنا وتقوينا..
- صحيح تعلمنا ولكنها تترك فراغًا مهولًا في أنفسنا، قد يؤدي الى السلبية و اللامبالاة..
- سنلتقي من جديد ونكمل الحديث، الآن أعود للدراسة وأنتِ توكلي على الله وهو حسبك.
- في أمان الله..

افترقنا، وأنا أفكر وأسترجع كل ما دار بيننا، وكل المواقف التي حدثت مع علاء فمنذ حديث نور عنه وفكري مشغول به وهل بإمكاني أن أفكر في ارتباط جديد أم لا؟

ماإن وصلت إلى البيت، عاتبتني أمي على التأخير، والحقيقة ما تأخرت وإنما هذه عادة أمي من فرط حرصها علينا نعتقد أنها فظة غليظة معنا.. بعد العتاب حدثتني آمرة:

- هيا إلى العمل، تنظيف البيت وترتيبه، عندنا ضيوف سيحضرون غدًا، الرجل الذي كنتِ عنده سيحل ضيفًا عند أبيك فعلينا إزالة هذه الفوضى..
- هوني على نفسك أمي الأمر بسيط لا تخافي وأنا موجودة، بشرط ان أراك مبسوطة والبسمة تعلو محياكي..
- أسعد الله قلبك يا بنتي.

لا أعرف لماذا ولا كيف أحس بنوع من الغبطة والارتياح في نفسي هل هو لأن هناك رجلًا يحبني، وهذا ماكان ينقصني وأنا متزوجة، أم لأمر آخر لا أعلمه، أشعر أن الهم خرج من قلبي، وأن كل ما يحيط بي يبتسم كأن الدنيا في فرح عارم.

دخلت غرفتي وأنا أدندن "أنت وأنا يا حبيبي،أنا يا حياتي، أنا في الهوى، يا حبيبي سوى، ويلا نعيش في عيون الليل ونقول للشمس تعالي تعالي اه تعالي تعالي، مش قبل سنة ولا بعد سنة هنعيش قصة حب حلوة اه..."

وقفت منال أختي عند عتبة الباب تتأملني وأنا سارحة مع أم كلثوم، ولما انتبهت لها خجلت منها إذ قالت:

- يبدو أنكِ سعيدة اليوم!
- لقد ارتفع صوتي و لم أنتبه.
- لو لم تمت أم كلثوم وسمعت صوتك لاعتزلت الغناء.
- وماذا ينقص صوتي؟ أليس رخيمًا و نديًا يا غيورة؟!

- بلى يا أختي العزيزة، صوتك عذب كأنه البلبل حين يشدو، وأهم شيء أن تكوني سعيدة..

ارتفع صوت أمي وهي تنادينا من المطبخ أن تعالوا ساعدوني.

مع اقتراب الغروب عادت نور الى البيت وأخبرها والدها أنهما مدعوان على الغذاء عند أهل إيمان.

- التقيت معها اليوم في الجامعة وهي تبلغك السلام.
- وهل هي بخير؟
- نعم تبدو أفضل من قبل بكثير.
- ألاحظ أنك متعبة يا ابنتي.
- طبيعي يا أبي، السنة الأخيرة وعلي بذل جهد أكبر.
- بالتوفيق، بالتوفيق.

***

خرج الثلاثي المرح للسهر، وتناول العشاء في مطعم فخم يزوره المشاهير، طلب كل منهم طبقه المفضل والدور اليوم في دفع الحساب على علاء لأنه وعدهم من قبل.

أشعل مازن سيجارة وسأل ماجد:

- ماجد،أخبرنا ماالجديد في لقائك الأخير؟
- لم يكن لقاء طويلًا لكن كما بدا لي كان مفيدًا لكلا الطرفين.
- إذن أنت متفائل.
- يمكنك القول كذلك.

بعد انتهائهم من وجبة العشاء وارتشاف فنجان قهوة، انتقل الثلاثة الى الصالة الأخرى، صالة الموسيقى والرقص، ما أن دخلوا وجلسوا، كانت هناك فتاة تلفت الأنظار بأناقتها وسط ساحة الرقص، تنظر إلى مازن وتبتسم له، ففهم أنها تدعوه، دون تأخير تقدم نحوها بكل ثقة، مسكها من يدها وقال:

- تفضلي!

وبدءا يرقصان وغابا وسط الجموع من الراقصين.

***

في صباح الغد، نهضت باكرًا لأكمال آخر اللمسات من ترتيب البيت إلى مباشرة الطبخ وتحضير الغداء، مع اقتراب الموعد، كان كل شيء جاهزًا، رن جرس الباب، فقام أبي ليفتح، وأنا خلفه لأنني أول من عرفتهم، هاهو العم عبده مع ابنته بابتسامتهما العريضة يحلان علينا ضيوفًا.

- يامرحبًا بكما، أهلًا وسهلا تفضلا.

قال أبي.

- زادك الله فضلًا يا محترم.

رد العم.

بحفاوة،استقبلنا كلا من العم وبنته نور التي دخلت وهي تحمل في يدها علبة جاتو، أخذ الجميع مقعده في صالة الضيوف ثم همت أمي بإحضار صينية عليها كاسات العصير للترحيب بالضيوف، وفجأة عند رؤية العم أفلتت الصينية من يدي أمي وسقطت على الأرض محدثة دويًا وفرقعة من جراء انكسار الكؤوس الزجاجية على الأرض..

استدار الجميع نحو أمي، ووقف العم عبده في مكانه قائلًا:

- يا ساتر!

هنا وقع نظرها مباشرة عليه وهو يحدق إليها في ذهول، شهقت شهقة ووضعت يدها على فيها ورجعت مسرعة الى المطبخ، اعتذر أبي عن الموقف وتبعها فوجدها تبكي..بينما أسرعت لإحضار المنشفة والمكنسة ونظفت المكان من شظايا الزجاج وبقايا السوائل.. لم ينطق العم بعدها بكلمة وبدا مشدوهًا شارد الفكر غير مركز لما أمامه..

طبعا بدوري تأسفت لهم على ما حدث بابتسامة، فردت علي نور:

- لا تتأسفي حبيبتي المهم أن أمك لم تتأذ، لطالما حدث معنا مثل هذا..

لا زال أبي في المطبخ يطمئن على أمي:

- ماذا حدث لك، هل أنت بخير؟
- لا شيء، أنا بخير فقط يدي انزلقت.

ولكنها استرسلت في البكاء بِكَمٍّ لم أرها تبكي مثله قط، بعد دقائق، لملمت نفسها وتظاهرت بالقوة وعدم التأثر وادعت انها نوبة دوار مفاجىء فقط.

- كفاك خدمة وشغلًا ارتاحي ودعي البنات هن يقدمن الطعام.

قال لها أبي وعاد للجلوس مع الضيفين.

تعاونت مع منال أختي وقدمنا الطعام في ترتيب منسجم على الطاولة وقال أبي:

- هيا بسم الله، تفضلوا.

تقدم الجميع إلا أمي التي تصنعت الانشغال هنا وهناك ولكنني أكدت لها على ضرورة الحضور إذ هي ربة البيت ويجب أن تستقبلهما.. استجمعت قواها وها هي تلقي التحية على العم ثم تحتضن نور بطريقة حنونة ملفتة كاحتضان عزيز عائد بعد غياب طويل.. أكاد أعترف أنها لم تحتضني بتلك الطريقة طول حياتي..

- مرحبًا بك يا ابنتي، كيف حالك؟
- الحمد لله يا خالة سلامتك ان شاء الله، أشكرك على الضيافة..

لا يزال العم مطأطئا رأسه وقد بدا عليه التوتر والانقباض.. أخذت أمي مقعدها بمحاذاة أبي وبدورها لم تخطيء وتنظر تجاه العم ؛ كنا نأكل ونتحدث بين الفينة والأخرى، ولكن أمي والعم كأنهما مضربان عن الكلام، ولا كلمة، لم يزد العم عن لقيمات وتوقف عن الأكل فتدخلت

- لم لم تأكل يا عم ألم تعجبك الوجبة؟ لقد أعددته بيدي.
- شكرًا يا إيمان لكن الحمد لله.

قال هذا ولكنه كان يريد أن يقول: *"لا ليس أنت من أعددته، لقد سبق وذقت هذا الطعم من سنين مضت، إن القدر الذي جمعني بها من جديد هو الذي حبس شهيتي ولكنك لا تعلمين يا ابنتي.."*

بعد انتهاء الأكل انتقل أبي وضيفه الى الأريكة في انتظار التكملة من الفاكهة والحلوى، قمنا نحن البنات ومعنا نور برفع الصحون من على الطاولة وتنظيفها ونادتنا أمي لنضع الفاكهة، وما إن دخلت نور المطبخ حتى مسكتها أمي من يدها وقالت لها:

- أجلسي يا عزيزتي.

وبدأت تمعن النظر اليها، مما أخجل نور، ثم أزاحت شعرها من على رقبتها وقالت:

- ما أجمل وأطول شعرك!

ولكن أمي كانت تريد رؤية وحمة أو شامة على رقبتها وبالفعل وجدتها، وحتى لا تتحرج نور أكثر سحبتها الى غرفتي لنتحدث حديث البنات وحدنا.

- كيف هي الأمور بخصوص حبيبك يانور؟
- أنا بخير ولكن لم أسمع عنه شيئًا لحد الساعة.
- أرجوكِ لا تتحسسي من أمي فهي أحيانًا قد تبدو غريبة لمن لا يعرفها.
- لا عليكِ حبيبتي، الأمر بسيط، وهل فكرتِ فيما قلت لك؟
- نعم وأنا أحس بارتياح نحوه وكأن قلبي انفتح لتجربة جديدة تنسيني الماضي، فلنتوكل على الله وهو حسبنا.
- آه شكرًا لك، الآن اكتملت فرحتي بك، أتمنى لك كل السعادة.

لم يستطع العم البقاء أكثر، فطلب أن يغادر متحججًا بالأشغال والإلتزامات الكثيرة، نادت منال على نور بأن أباها يطلبها للذهاب، حاولنا أن نطلب منهم التريث لكن العم اعتذر، فودعناهما آملين أن تكون بيننا لقاءات أخرى..

والغريب، أنه بمجرد أن خرج الضيفان، حتى هرولت أمي الى غرفتها واستسلمت للبكاء من جديد..

- مابك يا امرأة، قال أبي، أبك شيء نأخذك للطبيب؟

انفجرت أمي قائلة:

- إنها هي، إنها بنتي! نور بنتي البكر.

تسمر أبي في مكانه، ولم نستسغ أنا ومنال ما سمعناه.

- وهل ذلك هو أبوها؟

سأل أبي، هزت رأسها نعم وقالت:

- أريد ابنتي، أريد ابنتي.
- كيف تريدينها وقد أصبحت امرأة، وكيف سيكون رد فعلها وهي لا تعرفك؟!..

كنت أتساءل هل يعقل أن تكون أمي هي نفسها التي حكت عنها نور أنها وبكل قسوة تركتها وراءها، وأهملتها لا لشيء إلا لتفكر بكل أنانية في حياة أفضل، أهي التي لم ترحم فلذة كبدها وفكرت فقط في نفسها! لم أصدق كل هذا فدفعت الباب ودخلت عندها وأبي واقف هناك فقلت:

- ماالذي قلتيه الآن؟! هل نور حقا ابنتك؟!

هزت رأسها بالإثبات.

- لم نعرف أن لنا أختا! لم أخفيتِ الأمر عنا! هل طاوعك قلبك بالقسوة مرتين! مرة عليها ومرة علينا! ألا تعلمين أنها لا زالت تتألم لتخليك عنها! بالنسبة لها أمها ماتت من زمان! أتشعرين بعظم جرمك وشدة معاناتها! أهملتيها في وقت كانت في أمس الحاجة إلى حضن يضمها! كم مرضت ولا أم لها تواسيها! كم عانت من الحرمان ولا أم تعطف وتحنو عليها! كم عيد مر عليها وهي تتمنى أن تكون لها أم كسائر الأطفال!
- يكفي! لا أريد سماعك أكثر، اغربي عن وجهي!

قالت من تسمى أمي

. ثم استدرت الى أبي، وهو صامت لم ينطق، لأنه يعلم أنه شارك معها في التكتم عن الموضوع.

- وأنت لمَ لم تخبرنا بأن لنا أختا من أمنا؟! حرام عليكما! أنت متواطىء معها في إخفاء الحقيقة عنا! فلو علمنا لبحثنا نحن عنها ووصلنا رحمنا التي قطعتماها أنتما! ولاستأنست بنا ولم تكبر المسكينة وحيدة كأنها لقيطة! أنت يا أبي قطعت رحمك وكأن ليس لك

إخوة، ولم تكتف بذلك فأقطعتنا عن رحمنا نحن! القطيعة محرمة ومن كبائر الذنوب، قالﷺ(لا يدخل الجنة قاطع رحم) ألا تعلم عقاب قطع الأرحام كيف لك أن تسجد إلى الله وانت تحمل هذا الذنب؟! العباده ليست صلاة فقط..

هنا انتفض أبي من مكانه ووثب عليّ كالوحش المفترس وهو يقول:

- كيف تجرئين على التحدث معي بهذا الأسلوب! واضح أنني فشلت في تربيتك..

وانهال علي ضربًا بكل قواه حتى خلصتني أمي وأختي من قبضته بصعوبة، بعد فكاكي منه خرجت مباشرة الى الشارع لا أعلم الى أين ذاهبة ولا أكاد أرى شيئًا أمامي، فاندفعت الى وسط الطريق العام ولم أشعر بنفسي حتى ارتطم بي شيء بقوة لأسقط على الأرض والدماء تنزف من كل جوانبي.

*****

(24)

تجمع بعض الناس حول ذلك الجسد الممزق، ولحقت منال أختها بها وهي تمسك برأسها وتبكي.. بعد دقائق، وصلت سيارة الإسعاف لتنقل إيمان الى المستشفى وإن كان قد فات الأوان ولكن الإجراء يتطلب ذلك..أدخلوها من بوابة الاستعجالات لعل روحها لم تلحق بربها ويتم إنقاذها ولكن هيهات!

بدأ أهلها وأقرباؤها يتوافدون تباعا الى المشفى.. بعد الزيارة إلى أهل إيمان، دخل العم في حالة انطواء على نفسه يفكر في أمر البنتين وأمهما.. كان يستذكر كيف تعب من أجل ابنته وراحتها والآن يطلب من الله ألا تتأذى نفسيتها لو اكتشفت الحقيقة..

***

عاد مازن الى المزرعة لتحميل الطلبيات من الفاكهة في الحاويات وتسويقها خارج البلاد.. وعند مقابلته لعم عبده دار بينهما حديث طويل:

- أهلًا يا عم، كيف الحال؟
- الحمد لله بشمهندس.
- هل يمكن إنهاء التعبئة اليوم؟
- بإذن الله ستخلص، فلنبدأ حالًا..

***

اتصل ماجد بمحبوبته نور:

- ألو، أهلًا ماجد؛ كيف حالك؟
- حمدًا لله بخير، هل تعتقدين إن لم تتصلي بي أنت لا أتصل؟

- أسعدني ذلك شكرًا لك،

قالت بخجل.

- وأنا أيضا سعيد لسماعي هذا الصوت الشجي.
- يا سلام، أخجلتني، بالمناسبة، لدي خبر سار فيما يخص صديقك.
- هيا هاتِ ماعندك.
- إيمان وافقت مبدئيا أن تفتح علاقة مع علاء.
- حقًا، هذا رائع لكل منهما، فهي وإن لم تسعد فيما مضى فعليها أن تبقي باب الأمل مفتوحًا وأعتقد أنها سترتوي عاطفيًا مع علاء وهو الشاب الخلوق الودود.
- إن شاء الله تتحقق أمنيتهما ويفرحان ببعض.
- وان شاء الله نفرح مع بعض أنا وأنت كذلك، قولي آمين.
- اللهم آمين.

أثناء المكالمة، جاءها اتصال فاضطرت نور أن تنهي حديثها مع ماجد.

- هذا رقم إيمان، ألو نعم إيمان.
- أهلًا نور أنا منال أختها.
- مرحبًا، هل أنتِ تبكين؟ ماذا هناك؟
- إيمان تعرضت لحادث مرور وهي بالمشفى الجامعي، نحن هناك.
- اهدئي حبيبتي، سألتحق بك بعد حين.

عاودت نور الاتصال بماجد وأخبرته بما حصل، شكرها وبدوره اتصل بعلاء واتفقا أن يمر عليه ليذهبا معًا.. بعد ماجد، اتصلت بأبيها وهو غارق في شغله وتفكيره.

- أبي، إيمان في المشفى بسبب حادث مرور وعلينا الذهاب لزيارتها.

- متأكدة؟
- طبعًا، الآن اتصلت بي أختها.

صمت العم بعد هذا والهاتف لا يزال مفتوحًا..

- ألو ما بك يا أبي؟ أنت معي؟!
- أها نعم نعم، لا حول ولا قوة إلا بالله، جهزي نفسك سنذهب بعد قليل.

ليس هذا ما كان يود العم،كان يود أن تبتعد ابنته عن هذه الأسرة بالكامل.. سمعه مازن وهو يحولق، فسأله:

- ما الأمر يا عم أهو خير؟

أخبره العم بما حصل وعلى الفور بادره مازن أن يأخذه هو للمشفى وأوصى من ينوبه في العمل، لم ينس أن يتصل بعلاء هو أيضا ولكنه أخبره بما وقع لحبيبته، في الأول ظن علاء أن مازن يمزح معه لكن هذا الأخير أكد له ذلك، بعد قليل التحق ماجد بعلاء ورافقه باتجاه المشفى.. بادر ماجد بالحديث محاولاً طمئنة صديقه:

- لا تقلق، ستكون بخير، لعلمك هي موافقة على الارتباط بك.
- لقد سبق وأن قلت لكم أن الخير دائما يهرب مني وكأنني لعنة على كل أمر أقترب منه.
- استغفر الله يا رجل لا تقل هذا.

من جهتهم خرج العم مع ابنته ومعهما مازن بالتجاه المشفى.. ما إن وصلوا استقبلت منال نور واحتضنتها وهما تبكيان:

- إنها في حالة خطرة يا نور.
- الأمل في الله وحده.

لا تحاولوا معي أكثر، كفاكم إيذاء لي،لا أريد حياتكم المليئة بالكذب والخداع والنفاق، عرفت الآن طبيعتكم وهي ألا يرتاح لكم بال الا وأنتم ترون روحي متعبة، لم أرد شيئًا من حياتكم إلا أن أعيش بسلام، هذه حياتكم خذوها ودعوني أرتاح، أما أنت يا علاء أشعر بك وقد انفطر قلبك، وتشتت فكرك، لكن مع الوقت ستنسى وتبدأ من جديد، أمي وأبي و جيراني سأبقى لكم ذكرى، منال أختي، ستكونين الأكثر بكاء عليّ، ولن أرحل من ذاكرتك أبدًا، كما تذكرين كم ضحكنا معًا وكم بكينا معًا ولعبنا معًا.. نور، أختي الكبرى، أنا آسفة، لم أحظ بالوقت اللازم لكي أحتضنك، لم يكفني الوقت لنتبادل قليلًا من الدفيء الأسري، هذا الذي افتقدته أنا وأغدق عليك به أبوك الذي كان لك وطنًا وسكنًا..

وصل الجميع الى المشفى ولكن المصابة لم تخرج من غرفة العناية المركزة بعد، أيدي نور ومنال متشابكة، الكل أعصابه مشدودة.. أخيرًا خرج دكتور وقال لقد فعلنا كل ما نستطيع والباقي على الله، هي في حالة حرجة وليس قبل أربع وعشرون ساعة حتى تتجاوز الخطر.

لم يسمح برؤيتها الامن وراء الزجاج ومن بعيد وهي موصولة بعدة أنابيب.. غادر معظم الزوار المكان ولم يبق إلا ألام والأب والأختان والأصدقاء الثلاثة وعم عبده.

علاء يدعو الله ويترجى، ولكن قضاء الله أسبق.

بعد حوالي ساعة، خرجت الممرضة لتعلن لهم أن إيمان فارقت الحياة، إنَّ لله وإنَّ إليه راجعون، من الحاضرين من حبس دموعه ومنهم من غلبته فأطلق لها العنان.. لم يبق الا وجه إيمان ظاهرًا، فسمح للأهل إلقاء نظرة عليها قبل أخذها الى غرفة حفظ الجثث ريثما تكتمل الأجراءات ويأخذها ذووها لتدفن..

أرادت منال أن تقول لوالديها أنتما سبب موتها، ولكنها لم تستطع فوقعت مغشيًا عليها..

"تمت"

شكر خاص

تيكو

عبد الله

أبو طارق

دكتور عبد الواسع السقاف

صفاء

شام

أبو أمام

نورسين

طه هشام

محمد حافظ

محمد عربي

عمرو أحمد

محمد رضا إبراهيم

محمد كافي

أنس

إسلام سعيد

وأسرتي الفيسبوكية